فائلة عنتر

فانلة عنتر

إيمان الوكيل

مجموعة قصصية

الناشر:

زحمة كتاب للنشر والتوزيع

Www.za7ma-kotab.Com

Www.facebook.com/za7makotab

Za7ma-kotab@hotmail.Com

01205100596_01100662595

رقم الإيداع:

٢٠١٦/٢١٧٨٩

الترقيم الدولي:

978/977/6527/744

جميع الحقوق محفوظة لدى الناشر زحمة كتاب للنشر والتوزيع

أيمان الوكيل

فانلة عنتر

تصميم داخلي

أحمد عويس

مراجعة لغوية

منى داروي

فانلة عنتر

مجموعة قصصية

إيمان الوكيل

زحمة كتاب

بدلة وفانلة

تبدأ عملها الصباحي في المنزل من تجهيز الغداء لأطفالها ونشر الغسيل وخلافه وبعد أن تنتهي ترتدي ملابسها بتأنق أكثر من ذي قبل فهي تحرص أشد الحرص على أناقتها وإخفاء تورم عينيها بمكياج متقن ولا تنسى الأكسسوار المناسب والبرفان و.....،،لا تريد أن يرى أحد آلامها وتعبها ... لا تريد نظرة شفقة أو شماتة من أحد فهي لا تحتمل هذه أو تلك

ركبت تاكسي تعلو سماعاته بأغنية حزينة فعادت دموعها للنزول ، تحاول منعها لكي لا يفسد مكياجها أو يراها السائق .

تريد نسيان كلام أبيها بالأمس : ليه الحزن؟ عندك عملك الخاص إنتي مديرة نفسك ، افرحي بفخامة مكتبك واحمدي ربنا ، ويخبط كفا بكف بغضب :مش فاهم ؟

تحدّث منار نفسها لم لا يفهمون ؟ مال الحمد بالحزن؟ أحمد ربي كثيرًا لكني حزينة ،لم لا يشعرون و قد تعرضت للمهانة ومعرّضة للسجن بتهمة لم أرتكبها ،وأولادي كيف سأتركهم ، أنا؟ أنا أحبس مع تاجرات مخدرات و.....و..... و المطلوب ألا أحزن

تتذمر ما قالته جارتها: إنتي اللي طلبت الطلاق ، حزينه ليه ؟

(تبتسم منار بتهكم) : أيوه طلبت الطلاق من الغلب والبهدلة معاه؟ والمفروض اللي طالبة الطلاق تبقى فرحانة ،ولو عشت معاه ما اشتكيش لإنه اختياري

في نهاية موضوع المفروض أكون مبسوطة عشت معاه أو اتطلقت رغم المشاكل والهم.

دخلت الصيدلية وما زالت ترتدي نظارتها الشمسية السوداء التي تختفي خلفها ترى الناس ولا يرونها.

تجلس على مكتبها وتحضر المساعدة الشاي، متحدثة عن فرح صديقتها بالأمس ومنار لا تحتمل أي صوت فالصداع غير محتمل ، تريد إسكاتها ولا تحب إحراجها ، ولكنها تضطر فتطلب من المساعدة ترتيب مكان بعيد عنها حتى لا تتحدث.

تشرد منار تتذكر ابنتها وتحضنها:

«ماما خايفة القاضي يحبسك زي المسلسل حبسوا البطلة»

تدعي منار الضحك وتضم ابنتها أكثر:»

متخافيش القاضي هيفهم إن القضية متلفقة وتركيب تليفون مش جريمة.

– مش جريمة ،طيب بابا بيعمل كدا ليه؟

– هو تعبان وعصبي.

– أنا زعلانة منه، قال لي مش هجيب هدوم العيد ولا هيدفع مصاريف المدرسة.

– أنا دفعت مصاريف المدرسة وهنشتري هدوم العيد .

– هلعب مع مين في العيد، بابا منعني ألعب مع بنات عمي وهو عارف إني بحبهم ،وإحنا مالنا بخناقات الكبار.

– هنروح النادي وندخل سينما ونشتري بالونات كتير.

يدخل مريض وتصرف منار له الروشتة وتعود لتجلس على مكتبها وتشرد ثانية، داعية ربها أن يرزقها مخرجًا مما هي فيه.

يدخل آخر يشتري علاجًا ويمشي ، وتعود منار لشرودها، تفيق منه على صوت نسوة أتين لشراء شيء تافه ولا يحتاج لأربعة معًا ، لتفهم منار بعد ذلك سبب حضورهم .

– تتكلم إحداهن:صحيح يا دكتورة إنتي متجوزة وعندك عيال؟

– الحمد لله.

– شكلك الله أكبر كأنك آنسة (وتضحك) مش بنحسد.

– شكرًا .

- تعطيهن منار طلبهن وتجلس فتتحدث سيدة أخرى : حقيقي إنتي مطلقة ؟
- تتضايق منا: هيفرق معاكي؟
- السيدة(باستظراف): أبدًا خلاص ، واحدة قمر زيك مين اللي يسيبها !
- منار: اللي حصل ودي حاجة خاصة.
- السيدة الثالثة :بيقولوا إنك خلعتيه وهو راجل طيب ووو
- تقاطعها منار بصوت عالٍ : قلت موضوع خاص.

تتركهم وتجلس محمرة الوجه غاضبة وتنصرف السيدات متضررات فلم يحصلن على موضوع جديد للتسلية.

يعود الصداع ثانية أشد مما سبق ، فكلام السيدات ليس بجديد الجميع يقولون ذلك (الراجل طيب) أي زوجها السابق.

فالمخلوع ذو وجه طيب ولحية وعلامة صلاة كبيرة ، حديثه بالقرآن والسنة ومعاملته مع الناس غاية في اللطف لا يعرف حقيقته إلا من يعيش معه .

ليخلع هذا القناع وتبدأ حقيقته في الظهور من سب دين وقذف بالحذاء أو ما تطوله يده والشتم بالأب والأم أمام الأبناء والشغالة والسائق فحدث ولا حرج .

تحدّث منار نفسها مرمطة وضياع كرامة وفي النهاية أنا المتهمة.... أستاهل ما أنا ست ولازم أتحمل وما أنطقش فشكل منار القوي المتأنق لا يدل على تحملها كثيراً ونحن كشرق أوسط نخدع بالمظهر ولحية وحلو الكلام خصوصًا إذا توسطه حديث شريف أو آية.

– حماة منار: أتحملي ياما تحملت من أبوه، الست تتحمل

– تذهل منار وترد بمحاولة ناجحة للهدوء : أتحمل أي شيء إلا الإهانات وقلة الكرامة ، ساعدوني نعالجه ،عصبيته مش طبيعية.

– يعلو صوت حماها: نعالجه؟ ليه مجنون ؟ إنتي عاوزاه يتهقر ويموت وتورثيه، وعمرك ما اشتكيتي منه ،حصل إيه؟

– تنهار منار باكية : عاوزه أعرف أعيش من غير صريخ ونكد، وأربّي ولادي من غير ما يشوفوا أمهم بتتشتم وتتحدف بالجزمة.

– حماتها : الست تجمّع ما تفرقش، إيه يعني لما تتحمليه في غضبه وتسكتي لغاية ما يهدى،)ثم تمصمص شفتيها(ولا في حد تاني ؟

– تصرخ منار : قصدكوا إيه؟ غلطانة إني سكت، المفروض كنت أشتكي وأعرف الناس كلها ،

– امبارح رفع سكينة الفاكهة عليا قدام الولاد، أتحمل لغاية ما يقتلني؟

– يتحدث حماها كواعظ: الموضوع عدّى وحصل خير.

– تصرخ منار: عدّى! الولاد مرعوبين مناموش من الخوف.

يضيق صدر حماها فيعلو صوته: اسمعي ،اتحملي وحافظي على بيتك،وعيالك، العيب فيكي إنتي متمردة ،أي زوجة محترمة تنسى، لحظة شيطان وتكمّل تحت طوع جوزها.تفيق منار من ذكرياتها على صوت بكاء امرأة تستند على ذراع ابنتها وجهها ملئ بالكدمات ويسيل الدم من رأسها .تفزع منار من شكل السيدة وتقوم مسرعة لمساعدتها .

– تنظف منار الجروح :حبيبتي جروحك محتاجة خياطة في المستشفى .

– السيدة: يا رب يكرمك يا دكتورة المستشفى بيعملوا محضر وسين وجيم.

– تتسائل منار: إنتي عملتي حادثة ؟

– السيدة: جوزي ضربني.

تتجمع مشاعر الغضب والكراهية للظلم في تجمّع غريب لتنطق بعد فترة: ضربك ليه؟ عملتي إيه لكل دا ؟

– السيدة وهي تبكي : طلبت فلوس أجيب أكل للعيال .

ويعلو صوتها بالبكاء: هو ملموم على واحدة ومضيّع فلوسه عليها ولا بيصرف علينا .

– منار: عاوزة اطّمن إن مفيش كسور .

– السيدة: هيضربني تاني ومش بعيد يطردني أنا والبنات ،هنروح فين؟

– صوت السيدة غير واضح من نزيف أنفها وورم شفتيها والبكاء المرير: على الأقل إحنا بين أربع حيطان، أبويا ميّت وجوز أمي بيقول وأنا مالي ، حتى أبوه وأمه قالوا: ناخد الولد بس وطردوني أنا والبنات ،نسيوا إن البنات لحمهم .

– منار: يعني مفيش حد قادر عليه ؟!

– السيدة : والله يا دكتورة الكل بيخاف منه ، ولما حد يكلمه يتخانق معاه لما شكله لا مؤاخذة بقى « فانلة»

تستغرب منار تعبير « فانلة» ولكنها لم تستطع حتى الابتسام .تنصرف السيدة بعدما ضمّدت منار جراحها وأعطتها مسكّن وما زالت السيدة تبكي وتشكو إلى الله .

تجلس منار غير مصدقة ما رأت تستغفر ربها متسائلة : سبحانك ربي لِمَ أرسلتها لي الآن؟!

تغمض عينيها ورأسها بين يديها مستندة على المكتب: اللهم لك الحمد ، أعلم أنّي أفضل من غيري بكثير ،ساعدني يا رب وصبّرني.

عاد الأولاد من المدرسة ،تحاول منار التحدّث معهم وتسألهم عن يومهم

- ينتبه ابنها لتغيّر وجهها : مالك يا ماما، بابا عمل حاجة تانية ؟
- تبتسم منار : لا يا حبيبي خالص.
- الابن: والقضية ؟
- منار: إن شاء الله القضية هتخلص وآخد براءة ،المحامية أكدتلي صدقني.

تجاهد منار لبلع طعام الغداء مع طفليها صامتين جميعًا يحاولون إخفاء دموعهم عن بعض.بعد الغداء ،تجلس منار مع طفليها لحل واجباتهم المدرسية حتى ينتهوا منها.تجهّز منار الفاكهة والعشاء وهما يشاهدان الكرتون ثم تدخلهما فِراشهما حتى يناما ولكنهم لا ينامان .

- منار: مالكم حبايبي في إيه ؟
- الابنة: خايفين لما تتحبسي بابا ياخدنا تاني .
- منار: لا ،لا ميقدرش،صدقوني ، القضية هتخلص .

تنزل منار الفترة المسائية وهي ما زالت تفكر في السيدة المضروبة وتعبير فانلة الغريب محدثة نفسها : أكيد تعبير فانلة دي شتيمة.

تنتهي فترة العمل المسائي وتعود للبيت وتطمئن على الأولاد وتنتهي من بعض الأعمال المنزلية وتجهيز حقائبهم وملابسهم المدرسية .تدخل السرير مجهدة وتفتح التليفزيون لتجد مشهد لنادية الجندي تصرخ بملابس السجن بعد الحكم عليها ،فتسرع منار بغلق التليفزيون وتقذف بالريموت بعيدًا وقد تصارعت دقات قلبها وتصببت عرقًا خوفًا مما ينتظرها .

تحدّث منار صديقتها في محاولة الانشغال عن مشهد نادية الجندي، تسألها الصديقة عن تطورات القضية ، فتحكي منار لها وأيضا عن السيدة المضروبة وعن مقولتها « شكله فانلة»

– تضحك الصديقة قائلة : جوزك زي الراجل دا « شكله فانلة» لأن الراجل المحترم ميلفقش قضية لمراته أم عياله، وإن شاء الله يتعرى ويتفضح ، (وتضحك) ويطلع قدام الناس «فانلة»

– تضحك منار: على كدا بقى الراجل المحترم يبقى اسمه بدلة .

– تكمل منار: اللي مخوفني إن القضية تبع نظرة القاضي للقضية (كما قالت المحامية) ،والتحريات أثبتت تركيب التليفون والشقة مش باسمي . تنزل دموع منار وتكمل : عارفة إني غلطانة لأني متابعتش خطوات تقديم طلب التركيب، عمري ما فهمت في شغل هيئات الحكومة ولا اللف على المكاتب ، فلما اتبرع جوز إعتماد صديقتي وهو شغال في السنترال بتركيبه ، فرحت إنه خلص الموضوع كله، أساسًا معرفش إن عقد الشقة من طلبات التركيب ،فكتب لي عقد صوري مش متسجل .

– الصديقة تحاول تهدئتها: بلغي عنه هو الغلطان.

– منار: لا طبعًا، كان عاوز يخدمني وهو جوز إعتماد في الأول والآخر، وعندهم ولدين وبنت ، هيتفصل من شغله، بالإضافة إني عرفت إن معظم العقود في السنترال صورية ومش مسجلة.

– تسألها الصديقة: هو جوزك فصل التليفون اللي باسمه من البيت ليه؟

– منار: علشان يأدبني لأني طلبت بابا لما حاول ضربي، ومش بستغنى عن التليفون علشان اطّمن على الأولاد ،إنتي عارفة الموبايل دقيقته ١٧٥ قرش،مش عملي ، وولادي صغيرين على الموبايل،والمدرسين مش كلهم معاهم موبايل .

تحاول منار النوم ولا تستطيع وتقوم لتصلي وتقرأ قرآن، حتى تشعر بالهدوء والبرودة في عروقها، ورغبة في النوم.ترى منار في منامها رجلًا ذا لحية بيضاء ملامحه غير واضحة ،ضخم، هيئته مهيبة ،يرتدي بدلة سوداء،يجلس على مكتب فخم، وخلفه على الحائط صورة لميزان.

– تسمع صوت يقول: الحل عنده .

– فتسأل الصوت : ومن هو؟ أين يوجد؟

– ويجيبها الصوت: أمام الحديقة الكبيرة.

تصحو منار من نومها على آذان الفجر فتقوم؛ لتصلي، متسائلة من هذا الرجل؟ فهي تشعر أنها رأته ،فهيئته وشكل المكتب ليسوا بغريبين عنها .

يرن جرس التليفون ،ترد منار فتجد صديقتها تطلب منها الحضور لبيت عمها الذي عاد من العمرة ، لأخذ رأيه في القضية فهو قاضٍ في محافظة أخرى وله خبرة واسعة.

تنزل منار مسرعة لعم صديقتها، فهي تعلم مكانه كانت قد ذهبت إليه قبلًا.

قبل أن تصعد لشقته تنظر للنافورة المقابله لبيت العم، فهي تحب شكلها وصوت المياه، يعطيها حالة من الهدوء والبهجة فتجدها لا تعمل لتبتسم بسخرية: «هي جت على النافورة» يرحب بهما العم وتشرح له القضية وأنها لم تكن تعلم بأمر العقد، وتسأله إن كان تحويل العقد لخبير خطوط بالطب الشرعي لإثبات برائتها دون إيذاء الموظف (زوج اعتماد) يوافق العم على الاستكتاب، ويطلب منها إرفاق أوراق الخلع وقضايا النفقة وشهادات ميلاد الأولاد، وما يثبت أنها من ترعاهم لأوراق القضية ويؤكد : الاستكتاب سيكشف الحقيقة ،إياكي تطلبيه إن كنتي كتبتي العقد .تؤكد له منار أنها لا تعلم بأمره أساسًا إلا من القضية.يسألها العم عن تاريخ الجلسة ويطمئنها بالحصول على البراءة إن لم يكن درجة سيكون في الاستئناف، حتى ولو رفقًا للأبناء .تضحك منار وهما ينزلان : عمك محترم قوي ، ونتذكر كلمة السيدة المضروبة فتعلو ضحكتها قائلة : أهو عمك شكله بدلة ...لا عمك بدلة شيك.

يتصل طليق منار محاولًا مساومتها على القضية والنفقة المتراكمة عليه بجانب كل قائمة منقولاتها .

– مش مشكلة ،أتنازل ،سيب لي أوضة الأطفال بس.

– ولا دي كمان.

– ولادك هيناموا فين ؟ فكر في ولادك ،مشكلتك معايا أنا، الولاد ذنبهم إيه؟

- وتتنازلي عن الأولاد كمان .
- من يراعيهم؟ لا أنت تقدر ولا مامتك صحتها تساعدها .
- مش مشكلة المهم تتحبسي وتتأدبي، مش أنا اللي أتخلع يا هانم .
- مفيش تنازل عن الأولاد ،أتنازل عن كل شيء إلا هم .
- وكل دهبك .
- خد كل اللي اشتريته لجوازنا حتى الشبكة.
- لا كله ، دهبك كله.
- الباقي هدايا من بابا .

يغلق الزوج المكالمة مع الكثير من الشتائم والتوعد.ظلت منار راقدة في سريرها لا تستطيع القيام ولا البكاء من الرعب.ماذا سيحدث لابنتها لو حُكم عليها بالحبس، فقد سبق لأبيها ضربها على وجهها، وكسر أسنانها الأمامية لإلحاحها لرؤية أمها .وما زالت تنظر لسقف الحجرة تارة وتغمض عينيها تارة أخرى، منتظرة الحكم حتى رن جرس التليفون.

- ترفع منار السماعة سريعًا : ألو .
- المحامية وصوتها كله فرحة : مبروك يا منار.. براءة .
- منار: بجد يا أستاذة براءة بجد!
- المحامية : بجد يا قمر .
- منار : متشكرة قوي يا أستاذة ،مش مصدقة..
- تقاطعها المحامية: تخيلي يا منار مين القاضي اللي حكم في القضية؟
- منار : مين؟ أنا معرفش قضاة !
- المحامية: تعرفية كويس ،المستشار عم صديقتك .
- منار : لا هو في محافظة تانية.

– المحامية: لا أتنقل هنا من فترة قريبة.

– منار: قابلته من كام يوم ومقالش حاجة!

يجري شريط سريع .. الحلم... الرجل ذو اللحية البيضاء... النافورة في الحديقة الكبيرة أمام بيته .... تحدث نفسها: آه انشغلت بتوقف النافورة ونسيت إنها بالحديقة الكبيرة كما بالحلم .

– المحامية: منار بتقولي إيه؟

– تصرخ منار: دقنه.. آه..... لكن ؟! القضاة ممنوع تربية دقونهم.

– المحامية : مش فاهمة قصدك إيه؟!

– منار: لما قابلته كان له لحية .

– المحامية : يا سلام، حلقها ، إيه المشكلة؟ هو كان في عمرة ورجع ،مش فاهمة قصدك إيه؟

– منار : قصدي ربنا كبير قوي رزقني ببدلة تحميني من الفانلة.

كلهم عنترة العبسي

سلمى مسترخية تقرأ باستمتاع قصيدة لنزار قباني (الذي تعشق قصائده) وقد أنتهت للتو من قرائتها للمرة العاشرة انتفضت سلمى على صوت زوجها عاصم يصيح بعصبية: عقب سيجارة عليها «روج» يا هانم.... تاني ... إيه مفيش احترام لكلامي!

تصيح سلمى غاضبة : في إيه؟ قلتلك مِية مرة صوتك بيفزعني.

عاصم مستمر في عصبيته وصوته العالي: لأ هفزعك لغاية ما تسمعي الكلام... بتجي تحرقي دمي ليه؟ أنا نبّهتك ومفيش فايدة...سيادتك أخدتي سيجارة من العلبة من غير إذني.

– سلمى تنظر للسقف: استغفر الله العظيم ..هتفرق؟ لو أخدت إذن سعادتك...مثلًا صحتي مش هتتضر ولا أنا عيلة صغيرة لازم أخد إذن بابا!

– الزوج مصطنعًا الهدوء: قلنا تشربي سجاير معايا ولما اديلك بنفسي بس.

– زادت عصبية سلمى : يعني كل سيجارة بإذن حضرتك. و تسير سلمى باتجاهه واضعة يديها في وسطها: لما يجي مزاج حضرتك تديني (وبصوت عالٍ) ومزاجي أنا فين؟ افرض جالي مزاج وأنت نايم (تضع سبابتها في جانب رأسها): ومليش مزاج لما تديني..يعني أربط مزاجي ب....

– قاطعها عاصم: عارف استني (يجلس متربعا ويقلدها) : أنا إنسانة زيي زيك ليا كيان مش أقل منك. ويكمل عاصم: ومهما قلتي هي كدا، متشربيش سجاير من غير إذني. (ويربت على كتفها): واضح؟

– تقطب سلمى جبينها : لأ مش واضح نهائي ، أنت بتشرب علبة سجاير كاملة، وأنت بتتفرج على الماتش لما بتخنق من الدخان، وخناقة على سيجارة واحدة ليا.

– وتكمل وهي منفعلة وعاصم صامت ينظر لها بابتسامة ليغيظها: ولما أقول كفاية سجاير تقول مش بستمتع بالماتش إلا بيها .. وأنا كمان ، مش بستمتع بالقصايد إلا مع سيجارة... سيجارة واحدة!

– عاصم ما زال مبتسمًا فرحًا بغضبها : أيوه أنا متعود على كدا .

– يكمل عاصم وهو يضغط بسبابته بين حاجبيها وبلهجة آمرة : متعمليش راسك براسي.

– تحاول سلمى عض إصبعه فيسحبه بسرعة: ظلم. بلهجة سخرية له: ولا يكون شرب سيجارة يلزمه محرم؟ طبعًا أبقى أنا والسيجارة والشيطان تالتنا ! حرام!

– عاصم مستمر في طريقته ويشعل سيجارة قائلًا: السجاير وحشة على صحتك ، خلاص مش عارفة تقري القصيدة من غير سيجارة؟ مش حلو تتعودي عليها.

– سلمى: أنا لو هتعود كنت أتعودت من زمان.

– يضحك عاصم وهو يرى احمرار وجه سلمى وهي تمز ساقيها بعصبية ويقول كمن يهتف: الله يسامحك يا عم نزار ،أنت اللي قويتهم علينا.

– سلمى: موافقة ، كل كلامك صح، لما أحب أشرب سيجارة هصحيك من النوم وأستأذنك.

– يضحك عاصم محذرًا: أقطع رقبتك.

– سلمى: والحل إيه من وجهة نظرك؟ أأجّل استمتاعي بالقصيدة لغاية ما تصحى فخامتك؟

– يستمر عاصم في إغاظتها: أينعم.

– تحاول سلمى استعادة الهدوء: والله نزار عبقري ..، القصيدة مرسومة عليك... اسمع كدا.

– عاصم مقاطعًا: لاااا أنا مش رايقلك إنتي وهو.

ويشير لها على رأسه علامة الانشغال.

تنظر سلمى له باستعطاف ليسمعها ويخبئ فرحه باستعطافها مصطنعًا الضيق بقطب جبينه، وكأنه يتنازل باستماعه لها: اتفضلي.

تشعر سلمى بالحماس: دي قصيدة اسمها «رسالة إلى رجل ما»

« يا سيدي العزيز هذا خطاب امرأة حمقاء هل كتبت إليك قبلي امرأةحمقاء»

– يضحك عاصم ضحكة عالية: اعتراف جميل ...وأنا ليه أسمع امرأة حمقاء.

– ترد سلمى بحسم: متقاطعنيش.

وتكمل :

«اسمي أنا؟ دعنا من الأسماء.....رانية» « أم زينب أم هند .....أم هيفاء»

– يغمز عاصم بعينه ويرسل قبلة في الهواء: ياريت هيفاء.

تنظر سلمى له بطرف عينها وتكمل القصيدة بتحدٍ:

– « أسخف ما نحمله يا سيدي.... الأسماء»

يقاطعها عاصم بمرح : لاااا تفرق سلمى من هيفاء، ويضحك ضحكة عالية.

تتجاهله سلمى رغم غيظها منه حتى لا تحقق غرضه بإغاظتها وتكمل:

« يا سيدي أخاف أن أقول ما لدي من أشياء»

« أخاف لو فعلت أن تحترق السماء»

« فشرقكم يا سيدي العزيز يصادر الرسائل الزرقاء»

«يصادر الأحلام من خزائن النساء»

«يمارس الحجْر على عواطف النساء»

تسكت سلمى لتأخذ أنفاسها.

– عاصم: خلصتي؟ عرفنا إننا متخلفين.

– (يرفع عاصم كتفيه لأعلى وهو يلوي شفتيه) : تعملي إيه في واحد متخلف.

– تصل سلمى لقمة غضبها : يرحمنا من تخلفه ويتطور _وبصوت عالٍ_ ويعرف إني إنسانة زيه ، أشرب سيجارتي وقت ما أحب.

– عاصم: افهمي _مقلدًا شعر نزار_ يا أغبى النساء.

– تعجبه الكلمة فيطلق ضحكة عالية ويغمز بعينه: إيه رأيك؟ حلوة؟ .. حلوة أغبى النساء دي.

– ويضع يده على كتفها بحنان: هتتعودي على السجاير، والناس تقول عليكي صايعة وجوزك اللي هو أنا (مبتسمًا ابتسامة خبيثة) لا مؤاخذة.

– يسير نحوها محاولًا احتضانها ويبتسم في خبثٍ متسائلًا: ينفع أبقى لا مؤاخذة؟

– تبعد سلمى ذراعيه عنها وتسأله بسخافة مقطبة الوجه: إيه العلاقة بين السيجارة والـ «لا مؤاخذة»

– عاصم: ولا حاجة ، اتربينا على كدًا... تقاليد وأصول هيقولوا «سايبك كدا»

– سلمى تشير له محذرة: إيه بقى سايبك كدا؟!

يحرك عاصم كتفيه كالراقصات وهو يضحك ولا يرد.

– تجلس سلمى أمامه: ليه التفكير بعنصرية ؟ فكر بحيادية شوية ونثور على تقاليد، وعادات ذكورية بالية _ثم تتنهد_ ويكون تفكيرك زي نزار.

تعود سلمى تمسك بالقصيد : اسمع ،اسمع الرقي.

« وشرفكم يا سيدي العزيز يصنع تاج الشرف الرفيع»

« من جماجم النساء»

– يخبط عاصم كفيه ببعضهما : سلامة جمجمتك يا حبي.

لم تنتبه سلمى لاستغراقها في القصيدة أن عاصم يتسلى وقد أعجبته اللعبة.

وتكمل: «خارج الحجرة صوت الريح والكلاب»

« يا سيدي عنترة العبسي خلف بابي»

« يذبحني.... إذا رأى خطابي»

«يقطع رأسي .... لو رأى الشفاف من ثيابي»

– يحاول الزوج اصطناع الجدية: طبعًا....تنقطع راسك.. شفاف إيه اللي تلبسيه؟ويكمل متعجبًا: أهو دا اللي ناقص، عاوزة إيه فهميني؟ سيجارة تعمل كل دا ،سنتك بيضا.

– ويتابع بصوت عالٍ : ماله عنتر مزعلك في إيه؟..... فارس شهم مرضاش يكون لا مؤاخذة.

– زاد احمرار وجه سلمى وهى تتكلم بحنق: لاااااا، عنتر مفتري وظالم ومغتصب وخاين كل غزوة يتجوز واحدة جديدة ، ويغتصب واحدة تانية ويرميها ومعاها طفل من سيادته ولا بيسأل عنهم تاني، واللي يغيظ عبلة الهبلة تستنى حضرته بالحب والهيام، وتقولي فارس!

– يلاحظ عاصم احتقان وجه سلمى فيشفق عليها، فيطبطب على صدره

علامة الأسف : كملي.

– تجلس سلمى عاقدة يديها على ركبتيها ولا ترد فيتقدم منها قائلًا: صدقيني مش هقاطع.

تتنحنح سلمى وتكمل:

«لو أنا عبرت عن عذابي»

«فشرقكم يا سيدي العزيز يبايع الرجال أنبياء»

«ويطمر النساء في التراب»

– يرفع الزوج إصبعه كتلميذ في الفصل: إنتي كبّرتي الموضوع وهو بسيط أساسًا.

– ترد سلمى بحدة وهي ترجع شعرها للخلف: لا ، القصيدة توصيف واقعي لأرائك وأفكارك.

– يحاول الزوج تلطيف الجو قائلًا بهدوء: نساء مين اللي تطمر فالتراب؟(ويشير إلى نفسه ويكمل) : يا أمي إحنا اللي بنتقطع وندّفن كمان.ويمصمص شفتيه قائلًا بطريقة الفقهاء والمشايخ: رحمة الله عليك يا عنتر.

– تحاول سلمى التحدّث بهدوء: لما تمنعني من سيجارة إلا بإذنك وأبقى صايعة لو شربتها، يبقى حقيقي طمر في التراب.وتكمل: سي عنتر زمانه راح ، لو موجود سيادته حاليًا كان اتخلع أواتقطع.

– عاصم: كفاية جدال ... اسمعي الكلام الناس هتاكل وشي لو سمعوا أفكارك.

– سلمى باستغراب: وياكلوا وشك ليه؟!

– عاصم وقد تعب من الجدال : أسئلتك مستفزة! ويكمل بعصبية: المفروض إنك مراتي، هيقولوا مش عارف يلمّها.

– تمسك سلمى برأسها: تلمني أنا.؟.... ليه متبعترة! أفكار جدك دى المفروض تنساها، عيب بقى.

– عاصم: عيب !

– سلمى: أيوه طول الوقت تتكلموا عن التطور وحقوق المرأة كلام وبس.إنما الاقتناع داخلكم بمحددات قديمة.

– يبتسم الزوج رافعًا حاجبيه، ويحول عينيه مقلدًا عادل إمام ولا يرد.

– سلمى: استهزائك بيضايقني ، احترم كلامي من فضلك.

– عاصم: مقصدش، عاوز أضحكك ، محددات إيه؟

– سلمى: محددات العيب ، مين اللي يقول دا عيب ودا لأ؟

– عاصم: أهالينا الكبار اللي بيفهموا أحسن مني ومنك.

– سلمى: لا ..الرجال هم اللي حددوا العيب على كيفهم؛ علشان يتحكموا فينا.

أشار عاصم لسلمى بانتهاء الكلام، ومشى باتجاه الحمام، فزاد من غضب سلمى، فمشت خلفه تسابقه لتكون بجانبه .

– كفاية بقى تطلع رحلات مع أصحابك وتمنعني حتى من الخروج مع أعز أصحابي، رغم إنك تعرفهم وواثق في أخلاقهم.

يدخل عاصم الحمام فترفع سلمى صوتها ليصل أذن عاصم :

– تخرج كل يوم....كل يوم _وتقلد صوته_ وأنا ممنوع، ممنوع، الست المحترمة متخرجش كل يوم. آه وكمان ممنوع السؤال عن حاجة تخصك ، وكل اللي يخصنى تعرفه ، وتتدخل حتى في علاقاتى بصديقاتى كلمي فلانة وعلانة لأ.....كلكم عنترة العبسي.

يخرج الزوج من الحمام رافعًا عينيه إلى السقف يفكر ،كيف ينهي الجدال؟ ولولا حبه لها لأسكتها.

– تقف سلمى بجانبه وهو يجفف وجهه وتتحدث وكأنها تلقي خطبة: لما الراجل يخون كل الناس يطلبوا من الست أنها تغفر له، ومتخربش البيت لأن ست تانية خطفته وضحكت عليه، وكأنه طفل صغير ميعرفش الصح من الغلط..... والست تتقتل لمجرد الشك فيها، مع إن الله _تعالى_ ساوى في العقوبة بينهم في الخيانة وفي كل الأخطاء.

– يصفق الزوج : خطبة جميلة إنتي فاضية ، اعملي كيكة نفسي فيها ولا كريم كراميل أهو ..يبقى استفدنا بدل خطبك العصماء.

– سلمى: أنت عارف إن كلامي صح ، لكنه ضد مصلحتك. وتكمل: اعمل أنت الكيكة وأنا هخرج مع أصحابي.

– عاصم : الله أكبر ، ماشي. ماشي هعمل أنا الكيكة ، لكن تتفقي على الخروج من غير ما تقولي ، كلام جديد جميل.

– سلمى: إيه المشكلة؟ قررت دلوقتي، وقلت لك ، تبقى عرفت خلاص.

– عاصم: يا هانم أعرف قبل ما تقرري.

– سلمى: قبل ما أفكر أساسًا ؟وتكمل: المهم إنك تعرف قبل ما أخرج.

– عاصم: دي ثورة بقى ، أنا متجوز هدى شعراوي.

– سلمى: أيوه ثورة ، والمفروض تساعدني فيها.

يجلس الزوج مبتسمًا ببلاهة مشيرًا لنفسه ، يهز رأسه علامة الرفض، وقد ربط رأسه بالفوطة بشكل كوميدي.

أمسكت سلمى بالكتاب وتقرأ:

« لا تنزعج سيدي العزيز من سطوري ، لا تنزعج»

«إذا كسرت القمقم المسدود من عصور»

« إذا نزعت الخاتم الرصاص عن ضميري»

« إذا أنا هربت من أقبية الحريم في القصور»

« إذا تمرّدت على موتى ــعلى قبريــ على جذوري والمسلخ الكبير»

انتفض عاصم للكلمتين الأخيرتين:

– يا نهار أسود، إيه المسلخ الكبير دا؟ويعلو صوت عاصم وهو يدعو: الله يسامحك يا عم نزار ، بتعاير بأشعارك.

– سلمى: هو اللي يقول الحق غلطان؟ أيوه مسلخ كبير قوى كمان. عرفت قضية أب صعيدي دبح بنته زي الخروف لمجرد إنه لاحظ بروز بطنها على غير المعتاد ، سألوها على طول مين اللي عمل كدا ؟ أنكرت الموضوع أساسًا ، ببساطة دبحوها، ليتضح بعد عرضها على الطب الشرعى إن ببطنها ورم كبير .... واللي مجنني إن أمها زغردت بعد اكتشاف الورم.

– عاصم: طبعًا تزغرد ، تفكيرهم وثقافتهم في الشرف تخلي أمها ترقص، الله يرحمها، نصيبها كدا.

– سلمى: بتتكلم ببرود كأن اللي اندبح فرخة _وتدمع عينا سلمى_ كلكم كدا مفيش إحساس، كان عنده حق نزار لما قال:

« لا تنزعج سيدي إذا أنا كشفت عن شعوري»

« فالرجل لا يهتم بالشعر ولا الشعور»

« الرجل الشرقي.. واغفر جرأتي لا يفهم المرأة»

« إلا داخل السرير»

يبتسم الزوج ابتسامة كبيرة شقية قائلًا: أحسن فهم.

تتجاهله سلمى وتكمل:

« خرافة هي حرية النساء في بلادنا»

« فليس من حرية أخرى سوى حرية الرجال»

– يقف الزوج: خراااافة ، ممتاز واضح إنك فهمتي ، كفاية أنا زهقت.

ويتركها ويمشي.

– تمشي سلمى خلفه: قلت لك متستهزأش بكلامي ولا بمعتقداتي..... نزار شرقي زيك وأكبر منك في السن وعاش في زمن قبل زمنك ...ومع ذلك عقليته متطورة أكتر منك.

– عاصم : إنتي عصبية ، ومش طبيعية، في إيه؟

– سلمى: في كل اللي قلته، وزود الشيخ أبو دقن بيضا في الدولة اللي بتلم المشايخ، يتهم المغتصبة إنها الغلطانة لأنها أكيد بتلبس ملابس تثيرالمغتصب المسكين ، ولو كانت منقبة برضو غلطانة؛ لأنها أكيد نظرت للمغتصب نظرة مثيرة، ويكمل الطين بله ، إن النساء أصل كل شر ومفسدة....بذمتك دا كلام

رجل دين؟

– يتصنع عاصم الاهتمام بكلامها: كلام الشيخ صح الصح.

– ترتمي سلمى على الكرسي متعبة من العصبية وكثرة الكلام وقد تأثّر صوتها: مش مهتم بمجتمع يحلل سيجارتك ويحرّم سيجارتي، ويسمي حريتي في شرب سيجارة قلة أدب، ويبرأ الخاين والمغتصب.

تسحب سلمى سيجارة من العلبة وهي تنظر لزوجها بتحد وتشعلها. يتضايق الزوج ولكنه يسكت إشفاقاً عليها من مظهر الإجهاد البادي عليها وقد أنبه ضميره لإغاظتها.....

تنفخ سلمى دخان السيجارة في الهواء لأعلى وتردد:

«يا سيدي قل ما تريده عني.....فلن أبالي»

« سطحية غبية مجنونة.....بلهاء»

تشعر سلمى بالارتياح بعدما نفذت قرارها.

– يضحك الزوج: بلههههاااااء إنتي اللي اعترفتي «وربت على كتفها» اعمليلي كوباية شاي يا بلهاء.

تمت

لعبة شوشو

تتحرك مرام ببطء بين الأنتيكات واللوحات في الجاليري ، تتابع العمال أثناء التلميع والتنظيف بملل .. صامتة، تفكّر في قص وصبغ شعرها ، تبتسم ابتسامة خفيفة لتذكرها آخر مرة جعلت شعرها ملفلفًا كشعر الأفريقيات ووضعت كريم أساس غامق فتغيّر شكلها تمامًا ولم يعرفها أحد وظلّت تضحك من شكلها أيام قليلة، ثم عادت إلى أحضان الملل مرة أخرى.

تفكّر بماذا تطرد الملل؟ برحلة سفر هنا أو هناك، أم تنزل للتسوق وتغيّر نمط ملابسها وزينتها.

كانت هذه طريقة مرام للهروب من حالة الصمت والملل وقلة النوم. يرن جرس الموبايل فتمشي مرام بنفس البطء للرد وما إن وصلت لمكتبها توقف الرن.

لم تهتم بمعرفة المتصل وألقت الموبايل على المكتب، و ما إن جلست حتى رن مرة أخرى ،أمسكت الموبايل لتعرف المتّصل لتتسمر عيناها على الاسم المكتوب... يا أالله هو..هو.

واصل التليفون الرنين حتى ردت وهي تحاول تنظيم أنفاسها، لكي لا يظهر اضطرابها ، يأتي صوت أحمد رجوليًا عميقًا كما هو:

– مرام حبيبتي وحشاني.

– تنجح مرام في إظهار الهدوء: أهلًا أحمد ، أخبارك ؟

– الحمد لله والقمر أخباره إيه؟ من زمان مسمعتش صوتك.

– مشغولة... خير يا أحمد في حاجة؟

– إنتي اللي في حاجة ؟ أقولك وحشتيني وتردي ـمقلدًا صوتهاـ خير يا أحمد، يعني لخص يا أحمد ، انجز يا أحمد ، من أمتى وإنتي قليلة الذوق كدا ؟

– أنا اللي قليلة الذوق؟ خالتي بخير؟

– أمي بخير يا مرام،... كفاية سخافة بقى ،إيه موحشتكيش؟ (ويكمل بتودد) مفيش وحشتني يا حمادة؟ نسيتيني خلاص؟ أنا....

– مرام وهي تقاتل نفسها للاحتفاظ بهدوء صوتها: إيه اللي فكرك بيا؟

صدم أحمد من سؤالها وطريقتها فهو لم يعتد ذلك، فقد كانت محبة حنونة متلهفة عليه، لا ترى غيره في الوجود ، تنتظر حضوره بشوق غير عادي ،ويوم يأتي يكون لها كيوم عيد .

– يعلو صوت أحمد من عصبيته: إيه البرود دا؟ بتقفليني منك ليه ؟ أحب أعرفك لو كنتي متضايقة من عدم اتصالي السبب ، اتصل بأي نفس بعد إهانتك الكبيرة ليا .... جرحتيني برفضك وقلت لك مية مرة إني ما اتحملش شعور إني مرفوض...(بصوت حزين) حقيقي مش قادر أنسى.

– تضحك منار بسخرية ممزوجة بمرار: ولما مش قادر تنسى اتصلت ليه؟

– وتكمل :عاوز إيه يا أحمد ؟

– أحمد محاولًا التودد: عاوزك تكبري وتبطلي شغل البنات الصغيرة ، طبعًا متصل لإنك وحشتيني جدًا ومحتاجك يا مرام ....زهقان من العيشة وإنتي ست العارفين الإنسان لما بيتعب بيلجأ للي بيحبه ــوبنعومة شديدةــ مش إنتي حبيبتي؟

تسمعه مرام وهي صامتة ودموع كثيرة متجمعة في عينيها وترفض نزولها فتبتلعها.

إنه أحمد ابن خالتها الوسيم والجذّاب .. المعروف بغرامياته وعلاقاته النسائية ، والتي لم يكن وفيًا في أي منها لأي امرأة.

لم تكن مرام منتبهة أن اهتمامه بها ومحاولته لتخفيف صدمتها في وفاة زوجها المفاجئة ثم قضايا الميراث مع أهل زوجها المتوفي ما هي إلا طريقة من طرقه لاجتذابها له ، تلك هي هوايته ... النساء ، ولكل منهن طريقة في خداعها تختلف عن الأخرى ، لم يمر بخاطر مرام أنه بلا أخلاق لدرجة خداع ابنة خالته في وقت ضعف وحزن بغمرها بالحنان والمساندة لينالها كباقي النساء.

فكان أحمد يستميت لإخراجها من حالة الانطواء والصمت فيذهب إلى الإسكندرية أسبوعيًا، حيث تعيش مرام، أسبوعيًا تاركًا عمله وأولاده للتفريج عن « لحمه ودمه» كما كان يقول بشأنها ويأخذها في جولات بطول الإسكندرية وعرضها ، يأتي صباحًا ليفطر معها في الجاليري بما أعدته للإفطار، ويبقى معها اليوم بطوله في جو مرح، وفعل كل ما يمكنه لإسعادها حتى أنه جذبها من يدها وجعلها تجري معه تحت المطر وتستمتع بالمشي معه على شاطئ البحر في عز البرد، وينصرف مساءً بعد تناوله العشاء معها .... حتى اعتادت وجوده في حياتها سواء بحضوره أو بمحادثاتهما التليفونية الطويلة خلال الأسبوع حتى يحضر المرة التالية.

ولطالما قضت الأسبوع تفكّر فيما ستعده له من طعام أو إلى أين ستذهب معه في جولاتهما؟

ولم تأخذ عليه أنه لم ينفق جنيهًا واحدًا في زياراته لها، مبررة لنفسها أنها المضيفة فهو في بلدها ،ويكفيه تحمّل مشقة السفر وغيابه عن عمله الذي يذكرها دائمًا بأن كل دقيقة في عمله تساوي نقودًا.

ويكفيها تغيّر طبعه من أجلها، فهو شخص غير خدوم لأي إنسان إلا إن كان عنده مصالح معه ولا مصلحة لأحمد معها...!!!

سألته ذات يوم، لِم يجهد نفسه بالحضور وهو لا يفعل ذلك لأحدأبدًا؟! ليجيبها أن الجميع يظلمه ولا أحد يفهمه بالإضافة إلى أنه «يحبها» ...ضحكت مرام من لفظة «حب» فهو قاسي القلب مع كل الأقارب لكنه أكّد لها أنه حب رجل لامرأة وليس حب أقارب.

وعلى قدر ذهولها كان فرحها وتبعه خوف وعذاب ضمير فهو متزوج، وماذا ستفعل وقد اكتشفت أنها متيمة به.

عاشت بعده أسبوعين لم تعرفهما من قبل حتى مع زوجها، لا تشعر بخطواتها على الأرض، وصدّقت ما كانت تقرأه في القصص العاطفية أن المحب يطير بين السحاب.

تكتشف مرام نفسها من جديد ، كانت تتصور أنها ماتت بعد زوجها، وفوجئت بقلب نابض وروح محبة للحياة متفائلة مرحة سعيدة بلا سبب إلا هو ... أحمد. وبعد الأسبوعين انكشفت حقيقته .....

- مرام إنتي سمعاني.
- سامعاك ، وفهمت إن أنا ضيّعتك مني بقسوتي وبرودي.
- لا يا حبي، إنتي ست الستات وأحن إنسانة وتمنعي حنانك عني رغم حبك ليا، ولا تقدري حبي وتعذبيني بالرفض.
- تقصد أرفض علاقة سافلة ،وتاني بسألك افتكرتني ليه، وأنا لسه رفضاك؟

– يعلو صوت أحمد ثانية، بعدما شعر بفشل خطته بالبعد عنها لترضخ له:ردودك غبية زيك، أنا واثق إنك متعذبة لبعدي عنك ،بتكابري ليه؟ وتضحي بحب كبير عشان مبادئ محدش فاكرها .

– تفقد مرام أعصابها فترد بحدة : الخوف من الله مبادئ محدش فاكرها... الحرام.....

– يقاطعها أحمد: الحرام بتعمليه كل دقيقة ، خافي ربنا في شعرك اللي نازل لنص ضهرك، وجيبتك القصيرة ولا مكياجك ،كل أفعالك حرام، ولا الحرام على كيفك، تعملي حرام اه وحرام لأ ، كله زي بعضه حرام.

– مرام: لا يا مولانا في معصية وفي كبيرة،وغير كدا كرامتي ليها ألف حساب.

– يعود أحمد لمغازلة مشاعرها بترقيق صوته :كرامتك على راسي، مين يقدر يمس كرامتك وأنا معاكي.

– مرام: أنت، أنت هتدوسها مش هتمسّها ، أنت متعرفش إن الهنود بيتمسكوا بعذرية البنات والبوذيين بيجرموا الخيانة وهم مش أهل كتاب ، لأنهم بينظروا لعلاقة الرجل والست على أساس أخلاقي، والخيانة هي ضياع كرامة عندهم ، طبعًا أنت ولا حاسس باللي أهدرت كرامتهم وعذبتهم.

– أحمد: بتتكلمي عن مين؟

– مرام: أولًا مراتك، ثانيًا كل واحدة وهمتها بحبك؛ علشان تنولها وتسيبها أو تقول معرفهاش زي ما حصل مع واحدة منهم ، فاكر ولا نسيت.

يسكت أحمد ولا يرد.

– فتكمل مرام: أوعى تقول محصلش ورغم إن ربنا أنتقم منك في الست الوحيدة اللي حبيتها ،أو حبيت علاقتك معاها. أنا أشك إن عندك قلب يحب أساسًا.

– يرد أحمد وقد تسارعت أنفاسه: مش فاهم أي كلام ولا هبل بتقوليه، قصدك على إيه ومين؟

– ترد مرام بسرعة بصوت يحمل كل الشماتة: شاهي...مش اسمها كدا صح؟شاهي؟

– أحمد : أنا معرفش واحدة بالاسم دا.

– تضحك مرام بسخرية: متعرفهاش ، قوي جدًا خالص _وما زالت تضحك_ شاهي يا راجل .. اللي خانتك مع صاحبك وعرفت قبل جوازكم بيوم ، شاهي اللي مرمطت كرامتك وسط أصحابك بخيانتها وسيادتك كنت هتديها اسمك وشرفك.

سكت أحمد تمامًا لا تسمع مرام منه إلا صوت أنفاسه ، فتضحك مرام ضحكة عالية : وشربت يا جميل من نفس الكاس، ومع ذلك عاوز تعيد أفعالك ال....ليه يا أحمد ؟ ليه عاوز «توسخ» التضيف مع إن ال..... كتير أوي.

– أحمد: الكلام دا كله غلط ،مين اللي قال كدا؟

– مرام: أمك.

– وتضحك ضحكة عالية جدًا.

– أحمد: أمي!

– مرام وهي مستمرة في الضحك: اه خالتي ربنا يكرمها ،حكت لي عن كل غرمياتك وقصصك يا روميو لما لاحظت إنك مش بتيجي للإسكندرية ، ومرضي بعد اكتشاف كذبك وغشك ليا صحيح لما حكتلي، مرضت زيادة وزاد ألمي لكنها آلام البتر وربنا شفاني بعدها.

– أحمد: بتر! إيه الهبل دا؟

– مرام: أيوة بتر ،أنت عضو فاسد في الجسم لو سيبناك الجسم كله هيتصاب بالتقيّح ، بترتك من قلبي لكن مع الأسف، روحي جالها عدوى تقيحك فبترتها معاك ..... فهمت باردة ليه يا ابن خالتي.

– افهمي يا مرام، أنا بحبك بجد لكني مقدرش أتجوزك ، الولاد ومراتي هيعرفوا وهتبقى مشكلة.

– صح، أنت صح .. ابعد عني لو عندك بواقي إحساس بكفاية ألعاب شوشو.

– أحمد وكأنه لم يعد في الوجود ، صوته خفيض أنفاسه غير منتظمة :شوشو مين؟

– تضحك مرام باستهزاء وقد استردت كامل ثقتها لإحساسها برد الصفعة له واسترداد جزء من حقها: آه صحيح «شوشو» دا الشيطان بس بدلعه.

– دا ايه دا؟ بتدلعي الشيطان! ما إنتي حلوة ورايقة.

– مرام وقد دخلت في موجة ضحك لا تستطيع إيقافها: طبعًا يا حبي وأنا عندي أعز منك لازم أدلعك.

– لا يرد أحمد لدقيقة حتى يستوعب ما قالته: آاااه قصدك أنا الشيطان.

- أيوه يا شوشو أنت كبير الشياطين وتستحق الدلع.

- متشكر جدًا لكن اعرفي إنك مش ملاك ، ومش غلط إنك تحبي راجل متجوز.

- الحب من غير خطيئة أو إيذاء حلال طبعًا.

- إنتي مشوشة وأفكارك كلها غلط ،أنا مقدرش على حب من غير ملامسة... بطفولتك الفكرية.

- وأنت الناضج فكريا بتساوي بين شعر مكشوف وعلاقة حرام ، سيبني في حالي وإلا هقول لخالتي ومراتك إذا اتصلت تاني.

يغلق أحمد التليفون بلا رد.

تضع مرام التليفون على المكتب وهي لا تشعر بالرضا؛ فهي لم تأخذ ثأرها كاملًا ، متذكرة لياليها وهي تحتضن المصحف بعد قراءتها القرآن وكأنه درع يحميها من رغبتها في رؤيته وسماع صوته، ومقاومتها لنفسها في احتياجها له وشعورها بالاهمال منه ، ولا تستوعب أن كل ما كان خداعًا، وتتصوره وهو يضحك منها في نفسه ونفره بنفسه لإيقاعها في حبه حتى وإن لم ينل مراده. تتذكر شهورًا وهي عليلة حتى شفاها الله، وعادت لحياتها وعملها، وعرفت أن القوة من ذاتها وليست منه. كانت على ثقة أنها ستأخذ بثأرها يومًا فعلّقت بروازًا مكتوبًا فيه إيه (لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا) أمام مكتبها وفي مرمى بصرها دائمًا.

وبذلت جهدًا كبيرًا للانتظام في العمل، وممارسة أنشطة الحياة ولكنها حياة بلا مذاق.تتحرك مرام لتفريغ طاقة الغضب بداخلها، لتتوقف على فكرة قد تبدو شيطانية لكن حقيقتها ملائكية، ستجعل أحمد يمشي على

الصراط المستقيم، ولن يجرؤ على ألعاب شوشو مرة ثانية.

جرت إلى مكتبها وأمسكت الموبايل لتضغط آخر رقم اتصل بها، ليرد أحمد وقد تسرب الأمل له، فكان صوته أفضل مما تركته.

- أيوه يا حبي كنت متأكد إنك بتحبيني ومش ههون عليكي ، ها إمتى؟

وبمجرد أن أنهى كلامه أطلقت مرام ضحكة ذات دلال.

- لا. لا فهمت غلط يا حبي، كنت عاوزة أنصحك نصيحة، خد بالك من مراتك، يعني راعيها ، دلعها. العب عليها زي ما اتعودت ... وهي كارهة أفعالك، ومش بعيد ربنا يرزقها بشيطان زيك يخدعها وتستجيب له خصوصًا إنها زهقت من خيانتك (وتكمل حديثها بدلع مبالغ فيه) ياه يا أحمد بقيت أنسى أوي، نسيت أقولك إن شاهي اتصلت بمراتك وحكت لها كل ما بينكم وحلفانك لشاهي إنك بتكره مراتك ومش بتطيقها، وعايش معاها عشان الأولاد وأمك هي اللي أقنعت مراتك بالبقاء عشان الأولاد.وطبعًا مراتك بتشتاق لحب حقيقي يعوضها عن شعورها بالخيبة والوجع من خيانتك ، وزي ما قلت يا بروفيسير: «محدش بيقف قدام الحب، فهو زي تسونامي، بيجتاح ويغرّق اللي يقف قدامه»

- أحمد وقد أخذه الذهول: اخرسي مراتي مش ممكن تخونني.

- تضحك مرام : ليه؟ ما هي بتلبس قصير وشعرها مش متغطي، وبتحط مكياج، وكمان اتعلمت الكذب منك، فكلنا ذنوب ؟ أنت اللي قلت ، إيه بقى اللي يمنعها إنها تحب عليك؟!

وتكمل مرام وهي تتقمص دور الناصحة الودودة: اسمعني يا أحمد مهما حصل أنت ابن خالتي كرامتك وشرفك يهموني وكفاية فضيحة شاهي.اسمع كلامي جمّع كل ألاعيب شوشو، وطبعًا أنت حافظها كلها ونفذها على مراتك وأقنعها بحبك.تكمل مرام بصوت يحمل الأسف: سامحني يا أحمد أنا ..... ربنا يسامحني، رمضان اللي فات صليت كتير لربنا وكنت بعيط وأنا ساجدة لله؛ طالبة حقي منك يجي في مراتك،، آسفة يا أحمد كنت مجروحة أوي، ومتخدعش ست تانية ، تدعي عليك ودعاها لربها مسموع.

– سكت أحمد لدقيقة وهو يلهث ، تتخيله مرام يتصبب عرقًا: إنتي بتنتقمي مني؟ بتشككيني في مراتي؟

– مرام : أبدًا مراتك ست محترمة، لكن الحذر واجب والست وهى مجروحة بتبقى ضعيفة و..

أغلق أحمد التليفون قبل أن تكمل مرام.

طارت مرام في الهواء فرحًا مثل لاعبي الكرة مع إحراز الأهداف. العمال ينظرون بدهشة لمرام وهي تلف حول نفسها وكأنها ترقص فالس حتى أنتبهت لهم، ابتسمت ولم تخجل، وطلبت من أحدهم شراء جاتوه للعاملين وقالب شيكولاته كبير لها.

انتهى العمال من غلق أبواب الجاليري، وأدارت مرام سيارتها في طريق الكورنيش فقد قررت الاستمتاع بالهواء البارد والمشي. فهي لا تريد العودة للبيت الآن.تنزل من السيارة وتمشي بجوار السور مستمتعة بصوت الأمواج، متمنية أن تغطي على صوت عقلها، فصوته عاليًا جدًا، تارة يذكرها بأحمد وهو يسير معها وتارة أخرى وهي تمشي بحرقة قلبها باكية وحيدة. مشاعرها متداخلة متباينة، لا تستطيع تحديد إن كانت فرحة أم حزينة. الأمر الوحيد المتأكدة منه أن داخلها طاقة نجاح قوية.ولم تكن تلك الطاقة ناتجة عن ثأرها من أحمد، إنما ناتجة عن زوال إحساس الحزن عقب كل مكالمة مع أحمد كما كان يحدث.

فقط اليوم تأكدت أنها تستطيع الحياة بدونه وبلا حزن عليه.حقيقي أن بداخلها حزنًا كبيرًا على حبها ومشاعرها...لكنها ستتخطاها كما تخطته هو نفسه بوهم حبه.ارتطمت الأمواج بالسور فأغرقت مرام بالرذاذ البارد ، تلتفت مرام خلفها لتجد أنها سارت كثيرًا ، تقف قليلًا على أمل موجة كبيرة أخرى تأتي لتغرقها.

تبتسم مرام ابتسامة كبيرة فهاهي تستمتع بالرذاذ وحدها بدون أحمد. اكتشاف جميل جعلها تعد إنجازاتها، فقبل الرذاذ كان الاستمتاع بالشيكولاتة فقد كانت ممتنعة عن أكلها لأنها تذكرها به و...و...وطبعًا الثأر الكبير لقلبها. سمعت مرام لسانها يقول سنحيا بدونه، تبتسم ثانية وتعود لسيارتها.

وبمجرد غلق الباب يرن الموبايل ، تتوقع أن تكون أمها قد قلقت عليها، لكنها تجده من موسى المهندس الذي يحبها كثيراً ويصبر عليها منتظراً موافقتها على الزواج به.

- مساء الجنان.
- ليه جنان؟
- هتاخدي برد ، حد عاقل يعمل كدا؟
- مين قالك إني عاقلة ،كنت تعالى اتجنن معايا.
- والله كان نفسي بس قلت يا واد سيبها مع نفسها ، محبيتش اتطفل على أفكارك، كنت شاردة تمامًا ،وقفت استمتع بشرودك من الجهة التانية ،جميلة حتى في شرودك .
- تفرح مرام بإطرائه لها: لو كنت مكانك كنت شاهدت شرودي من قريب.... أفضل.
- يفرح موسى بكلامها ويظهر الابتهاج في صوته : إحنا فيها اشردى بكرة واستمتع عن قرب، إيه رأيك؟
- موافقة بعد ميعاد الجاليري، بشرط تقف تغرق من الموج معايا.
- وأنزل البحر كمان، ويضحكان معًا.

ترجع مرام للبيت لتجد أمها وخالتها، مرتديتان ملابسهما وتحملان حقيبة سفره

- تسأل مرام: على فين؟
- تخبرها أمها بالسفر للقاهرة لتهدئة الأمور بين أحمد وزوجته وولديه.
- الأم: يظهر أحمد اتجنن ومراته زهقت منه ، تعالي بسرعة وصلينا المحطة.

جبل الجليد

جلست لمياء تنتظر دورها للدخول للطبيب، تتجول بنظرها في العيادة متعجبة، فالأثاث قديم جدًا وكأنه أتى به من بيت جدته. صالون قديم وأنتريه أكل عليه الدهر وشرب ، محدثة نفسها أهو بخيل أم غير مهتم بالأناقة؟ مشكلة لو كان بنضارة كعب كوباية وشعرة منكوش، الله تبقى حكاية.

يطول الانتظار فعدد المرضى كبير، ولمياء تفكر كيف ستشرح له مشكلتها؟! تتمنى من الله أن يفهمها ويكون عنده إحساس فآخر طبيب عاملها ككافرة، ونصحها بالصلاة والقرب من الله بقراءة القرآن، ولم يصدق أنها كذلك إلا بعدما أكدت له شيماء صديقتها، فقط لأن شيماء

ترتدي خمارًا وهي ترتدي ملابس عادية. وثار الطبيب عندما سألته: مال المرض والقرآن إن كان مريض السرطان والكبد أو حتى الزكام لا يقرؤون القرآن هي مريضة كأي مريض تحتاج العلاج بجانب القرآن. وخرجت من عنده شبه مطرودة.

تحدث لمياء نفسها : يارب ما يقول جلسات تكلمت كثيرًا، ولن يفيدني حواره في شيء، كل الأطباء قالوا نفس ما قالته شيماء ولا جديد ، أؤمن بالله وأحمده على ما قدّر لي أريد ما يساعدني على احتمال أحزاني حتى يأذن الله بزوالها.

تلتفت لمياء حولها لتجد أن المرضى كما هم لم ينقصوا ، وتعود لحديث نفسها فرغم ثقتها أن غدًا أفضل لا تستطيع الهرب من حزنها على كرامتها التي أهدرت من زوج مريض تحملته بلا شكوى لمخلوق.

لم تشكُ من اتهامها بالبرود بعد فشله لإثبات رجولته وعلو صوته بالشتم والسب،ورغم أن الأمر متوقع وعادي منذ سنوات، إلا إنه يتعامل مع كل مرة وكأنها أول مرة يعاني الفشل !

اشفقت لمياء على زوجها لسنوات عندما كان يحزن أو يبكي حاله، لكن بعدما اعتاد شتمها بعد كل مرة اكتفت بأن ترفض بحجج مختلفة أو تمثيل أنها نائمة، لتكون النتيجة اتهامه لها بالخيانة وإلا لم تهربت منه؟

أصرّت لمياء على الطلاق، ولم ترضَ باعتذاره بعدما شكاها لكل من يعرفه أنها خانته، وتعاطف المحيطين وتصديقهم له لعلمهم بحالته الصحية ، تسأل نفسها لِم طعنها وهي لم تسيء له ولِم صدقوه بلا بيّنة.

والمرار الحقيقي طلب إخوانها الذكور أن تعود له حتى يعرف الجميع أنه كاذب ، فلا رجل يرضى أن يعود لزوجة خائنة ، يطلبون عودتها بعد علمهم بمرضه ويرضون لها الاستمرار في الألم والحرمان بالإضافة لإهدار الكرامة، وكأنها ليست إنسانة تشعر مثلهم، بحجة أنها قد اعتادت عجزه، وثارت ثائرتهم لمطالبة لمياء لهم باعتزال زوجاتهم وتحمل تبعات الأمر، علا صوتهم عليها لمساواتهم بها.

أقاموا حظراً على كل تصرفاتها وبناتها ،طالبوها بلبس خمار! وكأنه ثوب إثبات العفة ، ومنعها من وضع المكياج والإكسسوار عقاباً لها على جرأتها بالمساواة بينهم كرجال ونفسها في موضوع حساس ،فهم رجال لا يجب عليهم تحمل عجز أو برود زوجاتهم ، إنما الزوجة لا تتحدث عن ألم أو تعب من عجز زوجها، وأصبحت لمياء في نظرهم قليلة حياء ، ونسوا أنه فضح نفسه وأن لمياء لم تشكُ أبداً.

رفضت لمياء كل قيودهم ورفضت العودة لزوجها بعدما سترته وفضحها ، قد تحملت لمياء قلة ذكورته لكنها لا تستطيع تحمل قلة رجولته، فالرجل الحق لا يسيء لزوجته أم بناته بهذا الشكل.

سمعت لمياء الممرضة تنادي الرقم السابق لها قام المريض يتحرك بصعوبة ليدخل حجرة الكشف ،انتبهت لمياء لحال باقي المرضى كلهم يتألمون

ويتحدثون في نفس الوقت فلم تسمع كلمة واضحة.

جلست أخيرًا أمام الطبيب وغير ما توقعت وجدته جذابًا وملابسه متسقة. يجلس بهدوء خلف مكتبه، يرحب بها وهو ينظر لها بإعجاب فتضايقت لمياء لنسيانه أنه لا يصح ذلك من طبيب .ولم تشعر بارتياح لعينيه فهما كعيني ثعلب شكلًا ولونًا، لا تفهم منهما شيئًا.

سألها الطبيب عما بها وهو يصطنع الابتسامة.

- لم تتفاءل لمياء محدثة نفسها: بخيبته بيبتسم بالعافية هيعالجني ؟ولا تكون المدام ضربته علقة قبل ما ينزل وبمجرد التفكير في العلقة

لم تستطع لمياء إمساك نفسها عن الضحك ....ليبتسم الطبيب ابتسامة حقيقية، تحولت إلى ضحك باستمرار لمياء بالضحك.

تعتذر لمياء للطبيب مبررة ضحكها، بأنه كلما ضاقت أمورها أكثر تتحول من البكاء إلى (التهييس) والضحك لأتفه الأمور وهي الآن في هذه المرحلة.

- يهز الطبيب رأسه قائلًا : ولا يهمك.

بسرعة وإيجاز من اعتادت شرح مشكلتها للأطباء حكت للطبيب عمّا يؤلمها وأنهت كلامها بتأكيد أنها قوية ونثق في نفسها وتفهم مشكلتها وأنها فقط تريد عقارًا يمنع الاكتئاب عنها.

- وأخيرًا تحدّث الطبيب : مين قاللك إنك مريضة اكتئاب؟

- لمياء: الأطباء.

– الطبيب:عشان أشخّص الاكتئاب لازم سبع شروط:

أولًا: النظرة السوداء لماضيه.

ثانيًا: النظرة السوداء لحاضره.

ثالثًا: النظرة السوداء لمستقبله.

رابعًا: احتقار المجتمع.

خامسًا: احتقار الذات.

سادسًا: كره الذات.

– قاطعته لمياء: لا لا هو الماضي والحاضر والمجتمع فقط، إنما أنا بحبني وبحترمني قوي كمان (وتضحك) وعندي أمل في المستقبل إيه السواد دا ؟

تستمر في الضحك، اللي بتقوله دا حد انتحر خلاص من غير سابعًا، يبتسم وهو ينظر لها. وتعتذر لمياء ثانية عن ضحكها.

– الطبيب: بتعتذري كتير ليه؟ ممكن تضحكي أو تعيطي براحتك، وتقولي براحتك السبع شروط إذا توافروا يكون المريض مكتئبأما إنتي عندك عرض اكتئاب بس مش مريضة اكتئاب.ويتابع: لكن السؤال ليه؟

– لمياء وقد بدت الدموع في عينيها: أظن الصدمة عمري ما اتخيلت إن حياتي تبقى حدوتة ناس مش بحترمهم أساسًا، وأتفضح بالطريقة دي ، وأتحملت كتير عشان ميتقالش كلمة وأكون مطالبة بإثبات عفتي لمجرد كلمة من راجل مش طبيعي.

– كلامك صح ماعدا إنك اتفضحت والحقيقة إن الفضيحة ليه هو.

– الناس مش شايفين دا.

– أغبياء وعايشين سعداء ونعيش إحنا في شقاء بسببهم؟ (ويشير بالرفض) لا ..واحدة زيك لا تستجيب للأغبياء.

- عارفة لكن الخذلان قاتلني.
- قلنا أغبياء.
- من فضلك اكتب لي علاج لقلة النوم، هتجنن.
- هو علاج واحد فقط ولفترة حتى ننتهي من الجلسات.
- مش عاوزة جلسات ولا كلام ، اتكلمت كتير.
- أنا اللي أحدد العلاج نوع وكمية.
- آسفة، مش تدخُّل في عملك أنا زهقت من الكلام، ولولا الدكتور محمود جمال زهق شكوتي من آلام معدتي اضطريت أسمع كلامه وآجي.
- إنتي قريبته؟
- لا هو صديق للعائلة.
- دكتور محمود صديق عزيز.
- الحقيقة هو شكر لي في حضرتك لكنه مقالش إنكم أصدقاء.
- ياه نسي؟ عمومًا أنا تحت أمرك، وأمر دكتور محمود.

شكرته لمياء وتجلس صامته وهو يسجّل في أجندته حتى سألها:

- آسف لو سألتك عن سنك ، أعرف إن الستات.....
- لا عادي ـ وهي تضحك ـ ثمانية وتلاتين.

نظر لها الطبيب بإعجاب شديد لكن هذه المرة لم تسكت وسألته:

- فيه حاجة؟
- أبدًا لكن شكلك تلاتين مش أكتر، تعرفي إذا اتخلصتي من العرض الاكتئابي هيبقى شكلك خمسة وعشرين (ويضحك).
- ياه أخلص من التعب ياريت ، السن مش مشكلة.

- عايشة مع العيلة؟

- لا مع بناتي والشغالة بس.

- ماشي ست لمياء أنت من طرف أعز الاصدقاء وله عندي منزلة كبيرة، المشكلة إني مسافر بعد أربع أسابيع وعاوز أكمل علاجك قبل السفر، أخاف دكتور محمد يزعل وأنا مقدرش على زعله.

- أربع أسابيع مش كفاية؟

- أيوه، مش علشان مرضك صعب لكن أصعب مريض هو المريض الذكي المثقف وإنتي ما شاء الله عليكي، عاوزك تتعاوني معايا وهترجعي لمياء الضحوكة الجميلة زي ما كنتي.

- وعرفت منين إني كنت ضحوكة؟

- شغلتنا بقى، ولا أحنا بنبيع خضار.

- تضحك لمياء ويتابع : هنتعبك يا ست الكل وتيجي العيادة مرتين في الأسبوع ونتكلم تليفونيا مرتين في الأسبوع علشان ننتهي من العلاج تماما قبل السفر، وطبعًا دا مش يحصل أبدًا مع مريض إنما لخاطر دكتور محمود.

شكرته لمياء ، وتعجبت لكرمه فلا يبدو عليه سمات الكرم، مصدقة أن كرمه لأجل صديقه د.محمد.

أعطاها الطبيب الكارت الخاص به وسجّل رقم تليفونها، وقام ليسلم عليها وتسأله لمياء إن كانت الاتصالات ستسبب مشاكل مع زوجته فقد أعتادت ذلك، ليجيبها الطبيب أنه خاطب فقط وخطيبته متفتحة العقل، متحررة الروح، ونثق به. ويمشي بجانبها ويفتح لها باب الغرفة.

خرجت لمياء لترى نظرة تعجب من السكرتيرة.

عادت لمياء لبيتها وبها كم كاف من الأمل في العلاج؛ مستبشرة بالطبيب الفاهم لحالتها، فاستطاعت تناول العشاء مع بناتها وتبعته بالأقراص التي كتبها الطبيب، ثم نامت.

تستيقظ لمياء في اليوم التالي بصعوبة تشعر بدوار شديد وعدم قدرة على القيام من السرير، جهزت إفطار البنات بصعوبة، ثم اعتذرت عن الذهاب للعمل وعادت للسرير لتنام.

استيقظت لمياء على صوت البنات لدى عودتهم من المدرسة ،غير مصدقة لما مر من الساعات التي نامتها دون أن تشعر ،تحاول القيام فلا تستطيع وتضطر لطلب طعام جاهز للبنات وتكمل نوم.

تستيقظ في المساء على هزة من ابنتها تناديها قلقة عليها وبجوارها شيماء صديقتها التي حضرت بعد اتصال البنت الكبرى بها للاطمئنان عليها، وللمرة الثالثة لا تستطيع النهوض ، فتعتني شيماء بالبنات وتجهز لهن طعام العشاء وتطمئن عليهن حتى ينمن وتعود لبيتها دون إيقاظ شيماء.

تستيقظ شيماء في اليوم التالي لكنها أنشط، فهي لم تتناول القرص في المساء وتقوم بأعمالها اليومية دون تعب .

تتصل لمياء بالطبيب والذى يرد عليها فوراً لتشرح له ما حدث في اليوم السابق من نوم ودوار، راجية أن يغيّر نوع الأقراص حتى تستطيع القيام بواجباتها.

– يضحك الطبيب: العيب فيك يا ستو واضح إنك حساسة بزيادة، وعمومًا نكتب علاج غيره ، لكن المهم أخبارنا إيه؟

– لمياء: مفيش أخبار أنا نايمة من وقت ما كنت في العيادة عندك.

– الطبيب: هتكوني أفضل صدقيني وباختلاف رؤيتك للأمور وطريقة تفكيرك ،هنكون أفضل، أنا قلت لك بس ما استوعبتيش.

– لمياء: مش فاهمة!

– الطبيب: ننظر لجوزك على إنه مريض غبي، وإن الفضيحة اللي فجرها كانت لنفسه ومش ليكي حتى وإن كان طلاقك بسبب عجزه...حقك.

– أيوه حقي لكن الناس وإخواتي..

– هم اللي سابونا وهم هيرجعوا لينا.

– مش عاوزه رجوعهم، هم اللي كسرونى، طليقي معرفش يكسرني رغم اللي عمله، لكن هم...

تدمع عينا لمياء فتسكت، ويفهم الطبيب أنها تبكي فيسكت قليلا ثم :

– إنتي غلطانة، سمحتيلهم بكسرك.

– أنا؟

– أيوه متسمحيش لأفعال البشر أو كلامهم بكسرك، إحنا اللي نسمح أو منسمحش.

– لكن يا دكتور...

– كفاية دكتور دى من فضلك، المصريين متأخرين بسبب حضرتك وعظمتك في أمريكا مفيش ألقاب ، تعرفي اسمي ولا أحفظهولك؟

– طبعًا دكتور أكمل.

– برافو أكمل بس ، وإنتي لولي لايق عليكي، إنتي لولي فعلًا.

– تندهش لمياء لكنها تقدّر أنه قد تعود وأحبَّ الأسلوب الأمريكى في التعامل.يتابع أكمل بلا انتظار رد منها: عودى نفسك يا لولى تعملي وتقولي اللي مقتنعة بيه وبجرأة من غير حساب لحد المهم تكوني سعيدة إنتي الأهم دلوقتي، حرري عقلك وروحك إنتي شخصية رائعة، قوية، وجريئة، لكن ناقصك زيادة من التحرر لعقلك، لازم تعلّي تحرر عقلك لمستوى تحررك الروحي ، صدقيني لو اتساووا هتكوني أفضل، بمعنى إنه لو مكانتش روحك متحررة مكونتيش طلبت الطلاق لكن عقلك لأنه أقل تحررًا تأخرت في طلب الطلاق وبعد الطلاق تهتمي بكلام ناس إنتي مش مقتنعة بيهم ولا بفكرهم .....يبقى التقصير من عندك.

لمياء صامتة تستوعب كلامه كتلميذ نجيب ينوي التفوق، ويتابع أكمل دون انتظار:

– خدى نفس عميق وارفعي درعاتك لفوق،غمضي عينيكي وطيرى في الهواء.

تضحك لمياء..... ويغضب أكمل:

– أنا مش بقول نكت ولا بهزر، إنتي فين وبتعملى إيه؟

– قاعدة.

– لا ادخلي السرير وأطفي النور، افتحى الشباك ،غمضى عينيكي بهدوء، افردى درعاتك وتخيلي إنك بتطيري في السما، بيشيلك الهوا لأطول فترة ممكنة هسيبك وأبقي احكي لي.

– أنا آسفة...

– ركزي في اللي قلته.

– ميرسي

– ميرسي يا إيه؟

- أكمل.

- أجمل أكمل سمعتها في حياتي، أيوه كدا. المهم منناش عقل متحرر، إحنا صح، هم أغبيا، هم توابيت.اتفقنا.

- اتفقنا.

- هعيد التمرين تاني ومترديش. هقفل التليفون بدون سلام.

« جسمك مفرود مرتاح، الهوا جميل، الدنيا ليل، الهواء بيرفع جسمك لفوق، درعاتك مفرودة، إنتي خفيفة زي ورقة الهوا بيشيلك برقة، هنسترخى تمامًا تمأما علشان يشيلنا الهوا أطول فترة ممكنة، إحنا فووووق حوليكي نجوم كتير بتلمع، الهوا ريحته جميلة ونفسك هادي ....

ويغلق أكمل التليفون.

تنهي لمياء عملها في اليوم التالي شاعرة بالهدوء والسكينة، تستطيع التعامل مع من حولها والمذاكرة لبناتها ، حتى جاء ميعاد الاتصال بأكمل شاعرة بالسعادة للحديث معه، يرد أكمل عليها فورًا يستأذنها للاتصال بها بعد قليل.

يتصل أكمل بعد ساعة لترد عليه: أكمل فورًا ملاحظًا تغيّر جميل يظهر في صوتها: أخبارنا حلوة؟

- لمياء: جدًا، تمرين رائع، نمت بعمق وراحة كبيرة.

- أكمل: جميل، قلت لك معايا هترتاحي، هه بتفكري في إيه ..نفسك في إيه؟

- لمياء: نفسي أنسى كل الأحزان ، وأرجع تاني زي زمان.

- أكمل: لولي الجميلة كلها نشاط وحيوية ومرح...كلامي مظبوط.

- لمياء: بالظبط.

- أكمل : هترجع ، أنا معاكى لغاية ما ترجعى لولي بتاعت زمان وننسى لولي التانية الحزينة ، نفذي كلامي. سعادتك عندي. أنا أكتر إنسان فاهمك

- لمياء: حقيقي يا أكمل

- أكمل : طبعًا ، لاحظي لولي انهارده، غير لولي من أسبوع بعد مكالمة واحدة ، ولسه لما نكمل، أنا معاكى.

تشكرة لمياء وتسأله كيف ستدفع له ،ليخبرها أن الحساب في نهاية العلاج، وتحادثا عن الأشخاص المحيطين بها ، تلاحظ لمياء سؤاله بدقة زائدة عنهم ومستواهم الاجتماعي والمالي وأمور كثيرة لم يسألها عنها أى طبيب من قبل.

تطول مده الاتصال إلى أكثر من ساعتين بدون أن تشعر،إنما أكمل يشعر بكل كلمة أو حتى همسة منها ولم تنتهي المكالمة إلا وقد عرف أكمل كل شيء عنها وجميع المحيطين بها.

- أكمل: يعني شيماء صديقتك الأنتيم المساندة ليكي ، وعارفة عنك كل شيء.

- لمياء: مقدرش أعيش من غيرها .

- أكمل: لكن من فضلك متحكيش لشيماء عن مكالماتنا في التليفون أو طريقة علاجي، أنت حالة خاصة ،ومحبش إن حد يعرف طرق علاجي «ويضحك» إنتي عارفة عدوك ابن كارك ، غير إن الجميع هيطالبني بالعلاج بالتليفون والكل عشمان فيا والنتيجة إني مش هنام.

- لمياء: أوكى ، باي باي أكمل.

تغلق لمياء التليفون وهي لا تنوي تنفيذ كلامه فشيماء لن تخبر أحدًا.

تنزعج شيماء لطلب أكمل بعدم إخبارها بمكالماتهما

- هو خايف مني ليه؟

- لمياء: يخاف لاااا هو راجل مختلف غير الرجاله اللي بتخاف.

- شيماء: هنشوف إن كان مختلف ولا إيه حكايته.

مر يومان ولمياء تريد الاتصال به فهى تشتاق للحوار معه ما يمنعها إلا خجلها من فرض نفسها علية وهو مشغول وتخشى فهمه الخطأ لاتصالها كالافلأم العربية، المريضة التي تحب الطبيب وهى سعيدة به لإنه صديق وطبيب رائع.

تمر الأيام بطيئة حتى اليوم المحدد لزيارة العيادة ، تذهب لمياء سعيدة متأنقة وقد عاد لها رونقها القديم.تجده قد ترك لها خبر مع السكرتيرة لتدخل فور حضورها ولا تدفع الكشف، تفرح لمياء باهتمامه، وتدخل بعد المريض الموجود وقت حضورها .

يرحب بها أكمل باهتمام زائد وابتسامة كبيرة ونظرة غريبة لكونه طبيبها وليس شيئا آخر.

- أكمل: وحشتيني.

يحمر وجه لمياء خجلا من الكلمة والمفاجأة، لكنها تعطية العذر، فهو يعاملها معاملة خاصة وبدون حواجز بالإضافة لكرهه لقيود الشرقيين.

- لمياء: الحمد لله أحسن كتير.

– أكمل: عاملة إيه مع الناس؟

– لمياء: الناس غريبة لكن بحاول أطنش لكن دايمًا بينتقدوا طريقة كلامي وتصرفاتي ولبسي، مع إني مش بعلق على طريقتهم ولا لبسهم الغريب.دا عن الستات أما الرجالة فحدّث ولا حرج ،كل واحد منهم بيفكر إنه بكلمة ونظرة هقع في غرامه وإلا يسخف ويتهمني بأني بحب راجل تاني وكأنه زوج ومراته بتخونه ،مع إنه مش بيفكر في حب وجواز إنما غرام وقلة أدب.

– أكمل يسأل بجدية: يعني لو واحد منهم اتقدم للجواز منك توافقي؟

– لمياء: لأ طبعًا مستواهم الاجتماعي والفكري مش مناسب ل...

– يشير أكمل بضيق مفاجئ وعصبية زائدة : هو دا ، هو دا هم عارفين إنهم مش قد المقام العالي.

– لمياء بتعالٍ غير مقصود إنما موجود في طريقة كلامها : يبقى يبعدوا عني.

تلحظ لمياء ضيق خلق أكمل الزائد ولا تفهم السبب.

– لم يستطع أكمل إخفاء ضيقه ويتحدث بعصبية: طبعًا لازم يعرفوا مقامهم ويبعدوا، غلطانين، اتجرأوا وحبوا البرنسيسة .... حتى الحلم ؟ مستكتراه عليهم مش عاوزاهم يحلموا.

– لمياء : مش فاهمة سبب نرفزتك ؟! هم مش بيحبوني فمن حقهم يحلموا بيا، هم بيحلموا بعلاقة مش أكترهم بيحبوا نفسهم.

– أكمل مستمر في ضيقه وعصبيته: محستيش ولا هتحسي بيهم ، ميحسش بيهم غير اللي عاش وداق الفقر ومرارته.

– لمياء : لا المشكلة مش في الفقر، لو واحد وحبني بجد .....

– يقاطعها أكمل: لو فقير مش هتتحوزية، متكدبيش على نفسك.

– لمياء: لكن هحترمه وأرفض بشياكة.

– أكمل: فهمتي، المشكلة في فقره لإنه لو بيحبك وقد المقام العالي هتوافقي «ويرتفع صوته» صح؟

– لمياء: الكل طمعان فيا، غني وفقير.

– أكمل: لاا لا الغني هترفضي العلاقة ،لكن من حقه يحلم بيكي لإنه لو عاوز يتجوزك هتوافقي طبعًا لإنه هيعيشك في نفس المستوى اللي إنتي متعودة عليه ، مصاريف وعربية .. صح؟

– لمياء: أيوه متعودة.... بس مش قادرة أفهم سبب عصبيتك ولا.....

– يقاطعها أكمل: لو دوقتي الفقر كنتي فهمتي ــويجلس على الكرسي المقابل لها وكأنهم أصدقاءــ إنتي بالنسبة ليهم نجمة عالية في السماء. (ويتابع) أتصور إنك مربتي جنبي بالعربية ــثم مقلدًا صوتهاــ مع بابي.

– تسأله لمياء باندهاش : أنت ساكن جنبنا؟

– أكمل مبتسمًا بجانب فمه ابتسامة ساخرة: لأ طبعًا كنت ساكن في حارة في كفر ورا منطقتك الراقية أكيد عديتي جنب واحد مننا بعربيتك والسواق سايق للطفلة الغنية وأنا أوهو ماشي حافي لإن الجزم للمدرسة بس ويارتها جزم بجد لأ جزمة قماش كنا نسميها كاوتش من باتا ــناظرًا لها بتحدٍ أدهشهاــ تعرفي باتا. تفتح لمياء فمها لترد فيسبقها : كاوتش قماش من باتا يتقطع من تاني شهر في الدراسة ونكمّل السنة وهو مقطوع لا بيمنع برد ولا بلل منالمطر ونخيطه ونرقعه مع البنطلون والشنطة القماش.ويتابع كلامه بعصبية أشد ولمياء صامتة من شدة دهشتها لحالته.طبعًا لولي هانم مسمعتش قبل كدًا عن المآسي دى.

– لمياء: لا أنا ....أول مرة....لكن إيه العلاقة ....

– يقاطعها أكمل للمرة العاشرة غير عابئ بكونه طبيبًا وهي المريضة:علاقته إنك مش مقدّرة ولا حاسة ألم الناس حواليكي، الناس دى مبتروحش لدكتور نفسي تشكو حزن زى حزنك ، لكن بيشكو لبعضهم حزن ومشاكل تنتهي بمبلغ بسيط يأكّلوا بيه ولادهم.

ويتابع:

الحلم كان ممنوع علينا ، حتى التعليم دبلوم تجارة ولا صنايع دا أصلًا لو قدر الوصول للدبلوم لكن أنا وأخواتى وصلنا لأكتر من اللي وصل ليه ناس كتير حتى أنتي.

تضجع لمياء من كلامه وكأنه يشمت بها لأنها أقل تعليمًا منه كأي إنسان معقد غير واثق بنفسه ، وكأن حديثها مع شخص غير متعلم أساسًا وبلا أى شهادات وشهادة الدكتوراة هواء أو دخان.

– أبويا كان كمسري ــوبسخرية شديدةــ تعرفي الكمسري.

– لمياء وقد ظهر الغضب عليها : حضرتك فاكرني إيه؟ ولية بتتكلم بالشكل الغريب دا وكأنك غضبان من مستوى عيلتي وكأنه ذنب ، تسكت لمياء للحظات ،وهو أيضا يجلس على طرف الكرسي ولا ينظر لها.

– ثم تتابع لمياء: عمومًا أنا عارفة الكمسري هو اللي بيقطع التذاكر في الأتوبيس.

– أكمل وكأنه لم يسمع من كلامها سوى الجملة الأخيرة: أيوه هو دا أبويا اللي بيقطع التذاكر.

– ويهز رسه والابتسامة الساخرة لا تفارقه: عارفة كنت بشتغل من ابتدائي وحتى الجامعة، وطبعًا منحلمش بدروس خصوصية لغاية ما تخرجنا.ويتابع كلامه

وكأنه مريض في جلسه مع طبيبته النفسية: عارفة أول حاجة أشتريتها من أول مرتب بعد تخرجي.....

تهز لمياء رأسها بالنفي بدون أن تنطق تشعر بالخوف، وكأنها أمام فيلم من الأفلام التي تعرض حالة البطل المريض نفسياً ولا تتخيلها على أرض الواقع منبهرة من إجاده التمثيل والإخراج.

– أكمل: أشتريت بنطلون لأبويا ، كان لا يملك إلا بدله الشغل البيج.

(ثم بسخرية هادئة): عرفاها؟

تهز لمياء رأسها بالموافقة مأخوذة بحالته وما يقول.

– ويتابع أكمل جلسة اعترافاته: اللحمة كانت مرة في الشهر، ويا سلام لما حد من الأغنيا يدبح ويعطينا كيس لحمة .. نبقى طايرين من الفرحة.عارفة.... لما قبضت وعطيت أمي مبلغ صغير في إيدها عيطت من الفرحة.... إيه رأيك؟

– صوت لمياء منخفض جدًا: رأيي في إيه؟ وأنت ليه كدا بتتكلم كأني متهمة بالغنى؟!

– لم يرد أكمل وسألها :عرفتي مشاعرهم تجاهك؟

– لمياء: مش فاهمة سبب عصبيتك جاوبني!

– أكمل: لإنك لازم تحطي نفسك مكان البني آدم اللي مضايقك وتحسي بيه، الستات لازم يتريقوا وإلا هيطقوا من الفروق اللي بينكم.

– لمياء: ويطقوا ليه؟! ليا أصدقاء مستواهم أعلى مني بكتير ومش بحقد عليهم ولا بكرههم ولا بغير منهم ، كل إنسان ليه نصيب ورزق. وتتابع: بكدا يبقى أنا أحقد عليهم؛ لإنهم مبسوطين مع أجوازهم.

– ابتسم أكمل وقد عاد إليه هدوؤه وينظر للمياء بحنان بالغ: إنتي زي المية النقية الصافية مهما ارتفع منسوبها ممكن رؤية القاع.

يتنفس أكمل بهدوء وكأنه قام لتوه من النوم ويعتذر عن عصبيته محاولًا الضحك :

– جلسة انهاردا كانت ليا ولكن حظي أحسن منك: جلستي كانت مع أحلى وأرق دكتورة.

تبتسم لمياء خافضة رأسها ومشت بعدما أتفقا على الاتصال لمتابعة العلاج. تعود لمياء لبيتها وبناتها ينتظرنها ، تجهز لهن العشاء وتتحدث معهن حتى ميعاد نومهن، وتبدأ في تجهيز طعام الغد منشغلة بالتفكير في اكتشافها لمرض أكمل والذي لا تعرف اسمه أو باقي أعراضه لكنها متأكدة إنه مريض نفسي، وإن مرضه أشد من مرضها، تتداخل الأفكار برأسها كيف سيعالجها وهو مريض، لكنه ماهر في عمله بدليل أنها أفضل.....

تتصل لمياء بصديقتها شيماء

– هاي يا لولو ولا أقول لولي زي واحد صاحبنا.

– هاي يا شيمو، اسمعيني أولًا بلاش تريقة، ثانيًا.....

وتحكي لمياء ما حدث من حوار أكمل الغريب. وتفجّر شيماء مفاجأة أكثر من سيئة بأن أكمل كان متزوجًا وطلق من أسابيع قليلة.

– ليه قال إنه خاطب؟ معقول دكتوراة طب نفسي ويتكسف إنه مطلق، مريض بالفعل ،لا ومتخلف كمان.

– مكسوف آه طبعًا وكذاب وبيشتغلك لإنه مطلق بفضيحة.

– بفضيحة؟

– بعد أربع أيام من جوازه هو قال إنها (.....) وهى قالت إنه (.....)

،وتضحك شيماء ضحكة عالية ذات معنى.

لمياء صامتة تمامًا وقد غطت وجهها بيديها .

– ألو. ألو لولو إنتي أغمى عليكي ولا إيه؟!

– أنا في مصيبة إيه الإنسان دا ، غريب جدًا ، طبيب نفسي يتكلم ساعة عن ماضية بهستريا ،حاقد ، كذاب، ويتهم زوجته باتهام هو نفسه يعيبه على جوزي وبيوصفه بالغباء ، ميعرفش إنه برضو غبي.

– وأنا أنا هعمل إيه وعلاجي هكمله مع دكتور محتاج دكتور نفسي،دا الوحيد اللي فهمني وبدأت أتحسن ولما بتكلم معاه بحس إني في دنيا تانية ، هو...

– هو إيه لازم تبعدي عنه.

– لا، لا حقيقي مقدرش، هو الوحيد اللي يقدر يعالجني ..أيوه هو فاهم الناس وفاهمني لا ماقدرش، أنا قريت قصة عن دكتور مريض لكنه شاطر وبيقدر يعالج غيره، ويمكن مرضه نتيجة طلاقه أو.....) وتهز راسها بضيق(ولا فاهمة حاجة.

– عمومًا خليكي حريصة واضح إنك معجبة بيه، عمومًا المعلومات دي أكيدة، صاحبتي قريبة طليقته ،بتقولي كانت بلدي شوية لكنها جميلة... صاروخ.

– مش مهم ، المهم إني أتعالج.. وكلامه مظبوط..... علاجي عنده.

وتغلق لمياء التليفون مع شيماء لعدم استطاعتها الكلام فقد توقف عقلها عن التفكير، وتقضي ليلة من أسوأ لياليها ،يمر يومان والصداع لا يترك لمياء من التفكير، متذكرة كل كلمة قالها مقتنعة أنه من سيعالجها لا أحد غيرهوعلى الناحية الأخرى أنتظر أكمل يومين على أمل أن تتصل لمياء متمنيًا ألا تكون أنتبهت لحالته أو تأثرت بكلامه.

وفي النهاية اضطر للاتصال:

- هاي لولي، فينك ؟ وحشتيني.
- الحمد لله ، أخبارك إيه؟
- ممتاز بس لإنى سمعت صوتك ،اتأخرتي في الاتصال ليه؟
- خفت خطيبتك تتضايق.
- يتردد أكمل ثم: بصراحة يا لولي أنا كذبت عليكي أنا فسخت الخطوبة من فترة ، خفت تشكي فيا وكنت حاسس إنى معجب بيكى...آسف كدبة بيضا سامحيني.

تركته لمياء يكمل كلامه وهي صامتة حتى ناداها: لولي.

- لمياء: نعم معاك...وكذبت في إيه كمان؟
- يتلعثم أكمل: هكذب في إيه ؟ لأ ..... مش فاهم؟
- لمياء: كنت خاطب ولا متجوز؟

يثور أكمل كبركان صارخًا بكلمات بعضها غير واضح:

- مين بيتكلم عليا.... إنتي بتتكلمي عني مع الناس..... إنتي فاكرة نفسك إيه ؟ بتتجسسي عليا ليه ؟ قالوا لك إيه عني ؟ صدقتي؟ صدقتي إنى فشلت والهبل دا، امسحي نمرتي مش عاوز اسمع صوتك أو أشوفك.

سمعت لمياء التليفون يغلق، وضعت لمياء السماعة وهى ترتجف من ردة فعله، ودار عقلها في الفراغ أكثر ، فراغ هائل بلا جاذبية كرواد الفضاء ، لا تستطيع الوقوف ثابتة على الأرض.

مر أسبوع كأنه دهر،ولمياء تتقطع بين حزنها على أكمل وأنها السبب في انهياره تلوم نفسها ، واكتشاف أنها تشتاق لرؤيته والكلام معه ، واكتشاف أنها تشتاق لأكمل كان مصيبة في حد ذاته ، وكيف ومن سيعالجها إن لم تعد للتحدث معه.

كل فكرة تلعب بها وتقذفها لأختها وعادت لمياء إلى إحساس الفراغ والوحدة، وقد اكتشفت أن سيف من أزاحهم عنها لتكبر مصيبتها بأكتشاف أنها ارتبطت به وربما أحبته.

مر أسبوع آخر ولم يتصل أكمل ولا يرد على اتصالاتها..نفذت قدرتها على المقاومة ، تذهب لمياء إلى العيادة لتجد السكرتيرة جالسة ولا مريض بالعيادة، وتخبرها السكرتيرة أن الدكتور أكمل مريض منذ أسبوعين ولا يحضر للعيادة.تعود لمياء للبيت متألمة تلوم نفسها كان لابد من التمهيد له ولا تسأله بهذه الطريقه ،لابد أنه يتألم ، وكأنها وقعت في بئر فلا هي فاهمة لمشاعرها، إن كانت تحبه أم مجرد ارتباط لأنه الوحيد الذى فهمها لكنها متأكدة من أنها لا تستطيع الاستغناء عنه تريد سماع صوته والاطمئنان عليه وهي مشاعر لم تشعر بها تجاه أي طبيب آخر.

مر أسبوع ثالث بلا رد منه على تليفونها ، خائفة أن يكون سافر كما كان ينوي.

تذهب مرة ثانية للعيادة ، تجد المرضى جالسين فتعرف أنه موجود ... تدفع الكشف وتنتظر دورها ، وبمجرد دخولها يثور ويعلو صوته لأنها دفعت كشف:

– إيه اللي عملتيه دا بتدفعي كشف ؟ هو أنا منتظر فلوسك .... هجوع أنا من غير فلوسك؟

لمياء صامتة حتى انتهى من ثورته، مشفقة عليه وعلى نفسها، تنظر له بحنان حتى هدأ. يجلس أكمل وهو يمسح وجهه بيديه ،لينتبه أخيرًا أنها واقفة يدعوها للجلوس وهو يعتذر عن كل ما فعله مبررا ثوراته أنها صدمته بكلامها عن زواجه ولم ترحمه ، وإهانتها له بدفعها الكشف وهو يعتبرها صديقة ولم يتوقع كل ذلك منها و.... و..... بتبريرات تشير كلها أنها المخطئة بحقه.

تصدقه لمياء متعاطفة معه، تشعر بالخجل لقلة إنسانيتها مع أكمل، بينما يضحى هو بوقته ويعالجها رغم صعوبة حالتها كما قال لها سابقًا.

– أنا آسفة جدًا ، ومش لاقية حاجة أقولها ، ومتخيلتش إنك متأثر بالطلاق للدرجة دي.

– أنا بني آدم ، الدكتور النفسي بردو بيتعب لكن الفرق بيني وبينك إني بحس بيكي وبألمك إنما أنا. محدش حاسس بحزني حتى إنتي ،كنت هقولك كل حاجة ، بس استنيت أتأكد من ثقتك فيا الأول.

تحاول لمياء تلطيف الجو وقد استطاع أكمل بمهارة استمالة مشاعرها

– اعمل لك جلسة، أنت قلت إني أحسن دكتورة

– أنا قلت أحلى دكتورة، لكن دكتورتي طلعت عشماوي قتلتني.

– : والله ما قصدت، كفاية تعذيب فيا ... احكي هسمعك إحنا أصدقاء.

– ينظر أكمل لها بحنان بالغ : لا مش أصدقاء ..... أنا بحبك يا لولي.

نزلت كلماته على لمياء كماء مثلج منع أنفاسها.وبعدما استطاعت التنفس رفعت عينيها لعينيه، فلم تر فيهما أي شيء .... كلمة الحب في صوته وارتخاء عينيه قليلا لكن داخل عينيها ....لا شيء كأنهما زجاج.

- أكمل مستغربا سكوت لمياء: إيه يا لولي بحسبك بتحبيني؟
- ارتبكت لمياء : معرفش ... أنا متلخبطة ومش فاهمة.
- مش فاهمة إيه؟
- لا فهماك ولا فهماني
- أنا هفهمك كل حاجة حتى نفسك ....إيه رأيك نتكلم بالليل؟

مطرقة تخبط رأس لمياء، كلما أعادت كل ما قاله أكمل عدة مرات. أيحبها كما قال أم يريد تعويض مشاعره تجاه طليقته؟ أيصاب بالوهم وهو طبيب نفسي؟ وحتى اتصال أكمل بها تعاد كل الأسئلة برأسها بلا توقف ألف مرة. وبلا وصول للحقيقة.

- ألو.
- ألو.....ألو.... أكمل سامعني؟
- أيوه سامعك لكن ناقص ألو كمان ...لازم أسمعها تلات مرات.

تضحك لمياء ولكنها ضحكة غير التي اعتاد عليها.

- ضحكتك مش صافية ليه؟
- حتى الضحكة بتفهمها.
-إذا كنت بفهم ضحكة الناس كلها، مش هفهم أجمل ضحكة.

– عاوزة أعرف كل حاجة عنك، مشاكلك، جوازك (وتتابع كلامها وهى تتوقع ثورة أُخرى منه) وعن مرضك .....أنت مريض يا أكمل.

– سامحينى أنا فزعتك بثورتى، أنا سامع الخوف في صوتك.لكن أنا بحبك بجد

تفاجأ لمياء بإجابته وهدوئه.

حكى أكمل قصته مع عروسه وكيف أنهما كانا دائمي الشجار لكنه كان يعشقها واعترف بأنه كان يتهور ويرمي لها الدبلة ثم يعود ويعتذر راجياً الاستمرار في الخطبة،حتى قبل الفرح بأسبوع اشترى الأنتريه وحده بدونها، ودعاها لكي ترى مفاجأة ، وتذهب العروس لتجد المفاجأة هو الأنتريه فثارت لأنه لا يعجبها وأنهما كانا متفقين أن الاختيار مشترك وأصرت على تغييره ، وكعادته ثار ثورته غير الطبيعية ويرمي الدبلة في وجهها للمرة العاشرة ، ثم عاد يتوسل إتمام الزواج لتوافق هي بعد ضغط من أمها وتظل مقطبة جبينها صامتة حتى يوم الفرح وجدها ترقص في الفرح فتخيل أنها قد سامحته ، لكن وبعد انصراف الأهل رفضت أن يقربها ودفعته بعيدًا عنها عندما أصر، وكالعادة ثورة غير عادية بالإضافة لاتهامها أنها ليست عذراء وتخشى افتضاح أمرها، وعاد ليعتذر عما قاله لكنها صممت على الطلاق رغم توسلاته وتم لها ما أرادت بعدما أشاعت عنه أنه عاجز جنسيا فثار وطلقها.

سكت أكمل ، وكأنه ينتظر الحكم عليه وأخيرًا تكلمت لمياء:

– عندها حق.

– بتدافعى عنها لإنكم ستات زي بعض.

– أبدًا ، حقها فعلًا، مين ترضى باتهام شرفها زي ما اتهمتها!

- أعتذرت.

- لو اعتذرت لآخر حياتك مش كفاية.وتتابع كلامها: تبقى دكتور شاطر ومش عارف تعالج نفسك من مرضك ولا أنت مش معترف بيه أصلا؟

- معترف تمامًا بيه لكني ما ينفعش أعالج نفسي ولا حد من الزملاء، لأني أعرف حيل الدكاترة و مش هستجيب للعلاج.

- أكيد تعرف دوا مناسب لحالتك ، ليه تضيع حياتك وأنت تعرف العلاج؟!

- لا يمكن ، مش متصور أبلع اقراص كأي مريض.

- كلامك في حد ذاته مرض ، التعالي على المرض ورفضه هو مرض.... أنا مش دكتورة لكن مرضك قاتل.

- هحاول أتخلص منه وهنجح.

- ياريت لإنك غضبان وأنت الغلطان.

- دي اتهمتني ....هي إنسانة ...

- مش أوحش منك و أنت اللي بدات وهي بتكمل الفضيحة بنفس طريقتك.

- اللي فات مات ، إحنا الأهم دلوقتي .. إيه رأيك أقابل بابا إمتى؟

- بابا... بابا بتاعي أنا؟ ليه؟

- طبعا بابا بتاعك ، بابا بتاعي مات من زمان ، سؤال عبيط ، مش هنتجوز؟

- جواز على طول كدا؟ لأ ، لا أنا ماعرفكش ولا أنت تعرفني ، نستنى علشان نتأكد حبك ليا و أفهمك كويس، وكمان لسه وقت لعلاجك وعلاجي، لازم أتعافى من حزني الأول و تبطل ثوراتك اللي مش معقولة دي ، مقدرش أعيش خايفة من كلمة مقصدهاش أو موقف بسيط يولد انفجاراتك المرعبة دي.

- يعني تأجيل للموضوع، لكنك موافقة.. صح؟

– منكرش انجذابي ليك.

– علاجي هنجح فيه وعلاجك أنا....أنا علاجك.

تضحك لمياء

– حقيقي.. أنا بس اللي فهمك وأعرف أبعاد شخصيتك.. و اللي يرضيكي.. و يغضبك.. معايا هترجع لولي الجميلة فكري فيا أنا وإنتي بس، أي حاجة خارجنا سيبهالي ، أفكر أنا وريحي إنتي عقلك المجهد من عبء المسئولية، أنا عقلك دلوقتي ، بناتك وإخواتك والناس أنا أحل مشاكلهم ، شيلهمي أنا بس. كل مشاكلك عندي القدرة على حلها لكن أكمل حله عندك إنتي يا لولو وهتعالج عشانك ،أعرفيني براحتك...و أنا منتظر الأمر يا برنسيسة لأسعدك.

شعور بالنشوة والفرح يحمل لمياء إلى السماء، هذا الكلام لا يقوله إلا محب... يااااه أخيرًا حب بجد. لم تشعر لمياء أبدا بهذا الاحتواء ، لا تصدق أنها وجدت ما تمنته دائمًا ... أخيرًا

صوت لمياء الحنون وطريقتها المرحة في كلمة (آلو) لم تسمعها شيماء من زمن بعيد ، فسألتها شيماء مباشرة عن أكمل.

– وليه أكمل؟ ممكن حاجة تانية تفرحني.

– لاااا، فرحة صوتك وحنيته، فيها شنب.

– يعني إيه؟

– يعني حب، أنا بحبك... احتواء تبقي عديمة الضمير لو قلتي إني مش محتواكي ، لكن سيادتك محتاجة حب واحتواء ب.. شنب ويكون وسيم واسمه أكمل ، احكي ... ربنا يستر شكلنا هنشوف أيام سودا.

– يا وحشة ليه سودا حرام عليكي ،أنا فرحانة قوي.

وحكت لمياء كل ما حدث لشيماء، وتستمع شيماء حتى النهاية.

– عمومًا أكمل كله على بعضه غريب ، هدوء العاقلين وثورة المجانين، حب بسرعة بعد جرح كبير بأسابيع ، كله ميطمنش.

– أنا فعلًا قلقانة، لكني حاسه بحبه، حقيقي عينيه غريبة مش باين فيها أي حاجة لكن صوته صادق، أنا فرحانة مفرحتش كدا أبدًا في حياتي.

– ربنا يستر،افهميه تمامًا قبل أي خطوة.

توافقها لمياء وإن كانت لا تسمع لا تشعر، إلا بكلامه وصوته .

استمرت لمياء في طيرانها في سماء الاحلام شهرين ، أصبحت حياتها أكمل وما يقوله وعقلها متعطل ، كل ما يحدث في يومها تضعه أمام أكمل، وهو يرشدها لما تفعل وهى تطيع وتنفذ وتأتي النتائج مبهرة.حتى في التعامل مع بناتها وخصوصًا البنت الكبرى فهي في بدإية مشاكل المراهقة. كل ما يتوقعه أكمل يحدث، وكل ما يشرحه صحيح.

طوال تلك الفترة لم يقل أكمل لها كلمة أحبك ثانية ، لكن كل ما يقوله أو يفعله يثبت حبه لها.

وأصبح كأنه يعيش معها في منزلها، الاتصالات من الاستيقاظ حتى النوم ، إلى أين تذهب؟ حكاياته عن يومه مع الطلبة وزملائه الأساتذة، وحكاياتها مع البنات، وماذا ستطبخ وحوارات حياتية لا تنتهي.ونسيت لمياء كل ما حدث من البشر أجمعين، ونسيت كلمات الحزن والوحدة.....

انتظم نوم لمياء ذهبت آلام المعدة والصداع ، مع وجه مشرق وابتسامة بحيوية.

باهتمام وحنان أكمل أصبح كل شيء عند لمياء؛ هيَّن من خناقات إخوانها إلى نظرات الجيران ، فطبيبها بارع حتى في علاج نفسه فلم يثور أو يتعصب بعدما عاهدها على التغير.

ذات يوم قابلها أكمل وهو حزين، ألحت عليه، حتى أخبرها أن زوجته السابقة قد تزوجت..

ظهر الضيق على لمياء، فأكد لها انتهاء طليقته من حياته، لكنه حزين على ما أخذته من شبكة وقائمة أثاث من تعبه ومجهوده وشقته خاوية.. وأثاث عيادته لا يتناسب ومكانته.

- لم لا تجددها؟

- أخاف تكاليف على الفاضي، والعيادة متشتغلش.

- العيادة شغالة كويس جدًا، رغم إنك رجعت من الخارج قريب.

- لا العيادات التانية مليانة أكتر رغم إنهم أطباء عاديين ومش أساتذة زيي، المرضى مش بيحبوني، هم يحبوا الدكتور اللي يطبطب.

- أنت حنون بالفعل منساش أول مرة في العيادة...

- المقابلة دي ليكي بس ، الباقين غير كدا.

- ليه؟!

- أغبيا متخلفين، ميعرفوش من المرض إلا ضغط الدم ، كل اللي محتاجينه أقراص مسكنة وقياس الضغط ، لكن علاج حقيقي لا. دكتور معاه شهادتي

المفروض يتعامل مع مرضى أعلى ذكاء وثقافة ، هنا مش مكاني.

– دا قدر ، حاول تطور اللي حواليك فيتحسن واقعك.

– لا هسافر لأي مكان أمريكا ، الخليج ، أنا قررت.

– صعقت لمياء: تسافر؟ وأنا أعمل إيه من غيرك؟

– أنت مش شايفه اللي أنا فيه، بتزودي عذاب ضميري مش تقدري ظروفي.

– وأنا ؟ أنت قدرت ظروفي ؟ عودتني على وجودك، تسافر بعد ما بقيت محور حياتى ، أنت معايا طول الوقت ، وفجأة تروح وتسيبني وليه؟ العيادة شغالة كويس.

– لا ، عاوز أكبر مستشفي نفسي في فلوس، وشقة كبيرة وإنتي تيجي معايا.

– أنت تعرف لو سافرت أبو البنات يمنعهم من السفر معايا، مقدرش أعيش من غيرهم.

– سيبيهم لأبوهم.. مهما كان هو أبوهم المسئول عنهم يعني هيقتلهم؟! ومسيرهم يسيبوكي هيحبوا ويتجوزوا.

ويتابع أكمل كلامه ولمياء لا تقدرعلى فعل شيء حتى البكاء لا تستطيعه:

– بصراحة مقدرش أواجه إخواتي والمجتمع بزوجة بنتها طولها، متحملش غضب أمي وإخواتي، هيقولوا الناس إيه عليا؟

ينزل كلام أكمل كالصاعقة على لمياء، ليزيدها ذهولا.

– لولي ... أنا عارف إن كلامي ضايقك ، آسف إنتي عارفة مجتمعنا، وطليقتي اتجوزت راجل فاضي، وأنا آخذ واحدة بعيالها!

– استجمعت لمياء نفسها وعقلها من شتاته: أكيد عارف معنى كلامك؟

أكمل لا يرد خافضًا رأسه.

لمياء بصوتها المنخفض لكنه يشبه الصراخ في حدته والجهد في إخراجه:

– أنت بجد دكتوراه أمراض نفسية؟حقيقي...؟. أنت أغرب إنسان شفته في حياتي ، مستعر مني ، أنا متقدرش تواجه المجتمع بيا أنا. ،ليه جوازك مني عار؟ أنا أصغر منك وأنت مطلق زيي ، بناتي أخذت بالك منهم دلوقتي بس ولا مامتك رفضت يا دكتور_تتذكر لمياء قصه الأنترية الذي اختاره بدون خطيبته_ اااه صحيح .... الأنترية هه الأنترية اللي ضيع جوازتك الأولى مين اختارة ده أختك ومامتك. صح؟ (ثم صرخت بصوت عالٍ) رد عليا.

– أنت ابن ماما .... صح يا دكتور هه، وماما قالت نختار إحنا الأنترية وتضيع حبك.

تخبط لمياء كفا بكف، ووجهها كالأموات.

– افهمي ، مش لازم نقول إن عندك بنات نقول مطلقة وخلاص أو منقولش والبنات نأخذهم في الإجازة من غير ما حد يعرف ، صدقيني ما أقدرش.

– وسيادتك عرفت إمتى إني دون المستوى المطلوب لرضا أمك وأختك يا دكتور، متضايق من الناس البسيطة المتخلفة وأنت متخلف أكتر منهم ، آذيتك في إيه ؟ ليه كلامك معايا طول النهار، ليه ربطتني بيك ؟ أنت مجموعة من الأمراض ، أنا أحسن منك ألف مرة على الأقل مش بخدع حد ، ولا سلطان لحد على قراراتي يا دكتور.

سكتت لمياء لفترة لا تعلم ثوان أو دقائق ، ثم سحبت حقيبة يدها وقامت تمشي بصعوبة ، ولم يحاول أكمل اللحاق بها ، فقط غطى عينيه بيديه.

مرت أيام ثقيلة كالحمى، ولمياء لا تحسب عددها ولا تفرق الأيام من بعضها ، لا أحد بجانبها إلا صديقتها شيماء وبناتها. وعائلتها لا تسأل عنها، رغم علمهم بمرضها.

بعد أسابيع وإشفاقًا من لمياء على بناتها ،بدأت التحرك في البيت، تحضر الطعام بجهد شديد وتبتلع الطعام بالماء لكي تستطيع القيام بمتطلبات بناتها وشيئا فشيئا عادت لحياتها اليومية العادية ، تؤدى كل ما يجب عليها عمله بلا روح حتى الذهاب مع البنات لتمرين السباحة أو السينما وشراء المرابس لهم .... كل شيء لهن على أكمل وجه، لا ينقصها إلا لمياء نفسها.

يتصل أكمل ذات ليلة .. تحاول ألا ترد ...لكن محاولتها تبوء بالفشل وترد:

- آلو
- أيوه يا حبيبتي ممكن أكلم ماما؟
- ماما مين يا أكمل؟!
- لولي؟ مال صوتك أفتكرتك واحدة من البنات.
- مال صوتي؟ برد عندي برد يا دكتور.
- ألف سلامة ، وحشتيني يا لولي.

تنزل دموع لمياء رغمًا عنها ولا ترد خشية أن يظهر البكاء في صوتها.

- لولي.. أنا عارف...
- أكمل بتتصل ليه؟

– لولي قلبي متقطع عليكي، لكن أمي سنها كبير ومش هتتحمل.

– تعرف تسكت ؟ أمك سنها مش هيتحمل على أساس إن الزواج مني عار، ولما أنت ابن أمك كنت قلت من الأول .

– هتحمل كلامك ومش هلومك ، لولي أنت جميلة جمال مؤثر، بمعنى إني أشوف اللي أجمل منك وأنساها بعد ما تمشي، لكن لولي ما تتنسيش ، حقيقي إنتي جمال وعيلة وفلوس وشياكة جاذبية لكن ...

– أكمل، عاوزة خدمتين.

– أؤمري.

– دلني على طبيبة أمراض نفسية، بتاء التأنيث، فاهمني؟

يذكر لها أكمل اسم طبيبة ويسألها عن الخدمة الثانية.

– ما تتصلش مرة تانية.

يغلق أكمل التليفون بعدما ترفض الحديث معه.

تمر فترة أُخرى لا تعرف لمياء سوى أنها أسوأ مما كانت، فقد أضاف لها أكمل شرطان من شروط تشخيص الاكتئاب، النظرة السوداء للمستقبل وكراهية المجتمع.

ليتها ما عرفته قد كانت حزينة، لكنها الآن يائسة تمامًا لا تشعر بالفرق بين الذهاب للمصيف، تجلس وحيدة لا تحدث أحدًا أثناء لعب البنات أو حل الواجبات معهن.وكثيرًا ما شعرت باشتياق لأكمل، الإنسان الذي أسعدها شهرين، ليس أكمل الذي تعرفه الآن.

حرصت لمياء على عدم الانفراد بنفسها وتناول المنوم بمجرد نوم البنات؛ حتى لا تبقى مستيقظة. بعدما خلدت إلى النوم بقليل يرن جرس التليفون لتفتحه بدون النظر لاسم الطالب متوقعة أنها شيماء، فهى من تتصل بها، لتفاجأ أنه أكمل وصوته كمن يبكي.

- لولي وحشاني بجد.
- عاوز إيه تاني
- لولي محتاجك من فضلك.
- وأنا مالي روح لمامتك.
- لولي تعبان قوى مش قادر أتكلم بصراحة مع حد غيرك ، حاسس إنى مش بعمل حاجة، مش بتقدم خطوه ، مش قادر على تجربة جواز جديدة مش عارف أختار.

تضحك لمياء ضحكة عالية كالمخمورين:

- وتختار ليه ماما تختار، اسمع قول لأختك تختار لك عروسة زى ما اختارت الأنترية. وتكمل لمياء كلامها باستهزاء : أختك أدرى منك بمصلحتك وتعرف الشروط الواجب توافرها في زوجة دكتور أكمل العظيم، حبيب أخته والحاصل على دكتوراة التحليل النفسي من أمريكا ..... واو دكتور أكمل اللي بينادى بتحرير الروح والعقل وهو عبد من عبيد المجتمع.
- رغم إن كلامك كله سخرية بس حقيقى، مش متصور إنى بعلمي ودراستي دي، أتجوز بطريقة الخاطبة.

تضحك لمياء ودموعها تنزل:

- الخاطبه تناسبك تمامًا.

يضحك أكمل بمرارة:

– ضحكتك لسه جميلة، إنتي طيبة قوي يا لولي، أنا لو مكانك وإنتي أذيتيني زي ما أذيتك مش هديلك حل لمشكلة عندك أبدًا، وكنت هشمت فيكي.

– حقيقي أنت أسوأ إنسان عرفته ، أنا مشمتش في إنسان مريض ضعيف، أنا أقوى وأفضل منك مئة مرة.

– كلامك حقيقي ، أنا زي جبل الجليد تلاقيه أبيض مضيء من بره، لكن جواه ظلام وبرودة ، مظهره يختلف عن جوهره تماما، أنا هو يا لولي... مع الأسف.

– وضحت؟ شكرًا مع السلامة.

تستيقظ لمياء في اليوم التالي متخيلة إن اتصال أكمل مجرد حلم ، ترتدي ملابسها؛ للذهاب للعمل، لتتوقف فجأة إن التليفون على الناحية الأخرى من السرير، إذًا اتصال أكمل كان حقيقيا وشيئا فشيء تتذكر المكالمة لتنزل دموعها من جدي،د ومشاعر حقيقية بالاحتقار والكره له يتصل لتنصحه كيف يتزوج من غيرها. تجفف دموعها وتنزل للعمل.

مر شهر آخر ويتصل أكمل ثالثةً لكن هذه المرة كانت مستيقظة ، تنزل دموعها بمجرد رؤية اسمه على شاشة التليفون ، جففت دموعها بسرعة لترد في آخر لحظة وهي متحفزة له.

– آلو (ثم تصمت)

– لسه كملي فاضل اتنين (آلو)

– عاوز إيه؟

– عارف إنك متضايقة مني.

– تضحك لمياء بسخرية: حلوة قوي كلمة متضايقة، دا على أساس إنك دوست على رجلي..... مش على روحي!

– سامحيني، ..وياريت تساعديني ومتنسيش إني ساعدتك على فهم أمور كتيرة، ورجعت ثقتك بنفسك.

– لا لا ، أنت فهمتني الناس الأسوأ في الحياة أمثالك؛ لأن ثقتي بنفسي مسابتنيش علشان ترجعلي .... جيت لك وأنا مش بثق في البشر، وسيبتني وأنا بكرههم. أنت ضرتني أكتر ما نفعتني.

– وتابعت: الخلاصة.....المطلوب؟

– لولي ....

– تقاطعه لمياء: انسى لولي دي، أنا لمياء

– لا لولي أحنا لسه أصدقاء.

– مشفتش وقاحة أكتر من كدا، المهم خلص.

– ليا قريبة بتحبني لكنها مش في جمالك، هي سمرا وأنا مش بحب السُمر، وسنها تلاتة وتلاتين سنة ، مثقفة وبتحضر ماجيستير.

– مثقفة وبتحبك لكن سمرا ، متخلف حتى في تذوق الجمال.

– أيوه متخلف ومقدرش أقول كدا لحد غيرك.

– كلم أمك تدورلك على عروسة بيضا.

– أمك؟ اتغيرتي قوي يا لولي عمرك ما قلتي (أمك)

– وأنت مالك أنا بعالجني صح ، قررت وبنفذ، انتهينا، مفيش لولي الطيبة البريئة .. ماتت، دلوقتي لمياء اللي أقسمت ما واحد تاني ينصب عليها ولا حقها يضيع.

– لولي أنا حبيتك بجد لكني اعترف بضعفي قدام أمي والناس.

- أنت بتحب نفسك بس، وعمومًا أنا ولا بحب ولا بحترم الضعفا.
- لولي كفاية عمري ما أتحملت إهانات كدا.
- آه صحيح أنت مش بتتحمل كلمة، متحمل إهاناتي ليه؟

يسكت أكمل ولا يرد ، ثم يتابع حديثه كأنه لم يسمع سؤالها:

- أختي عرفتني على عروسة شكلها عادي، دكتورة خريجة حديثة
- خريجة حديثة يعني بينك وبينها عشرين سنة ... أنت حر!
- عارف إن الفرق كبير لكني أقدر أجاري سنها واحتواءها ومظهرش فارق السن ، أنا صحتي كويسة.
- مش هتقدر بعد عشرين سنة ، هتكون هي في قمة أنوثتها وأنت عجوز متجاوز الستين وعلى المعاش ، أنت دكتور عظيم وتعرف كل حاجة ، إيه المشكلة؟ ياريت نخلص.
- مش بحس بجاذبيتها، وبصراحة شاكك فيها، دكتورة صغيرة ليه تقبل بتمثيلية إني أشوفها صدفة؟ ليه تقبل؟!.... أنا قابلتها وطبعا أعجبت بيا جدًا، لكني متردد.

- تصرخ لمياء فيه: حرام عليك بنات الناس ، أنت معندكش قلب؟ تاني بتشك ...عمومًا هي قبلت أستاذها العظيم الجذاب الوسيم، ما اكتشفتش جبل الجليد لسه ، وطبعا عرفت تجذبها ليك وممكن تكون حبتك ، حسبي الله ونعم الوكيل ، صحيح يكون من حسن حظها إنك تسيبها ، لكن كدا حرام.

- لولي مش عارف أقول لك إيه؟

- متقولش حاجة، بس مش عايزة أسمع صوتك تاني.

- حاضر يا لولي بس ضميري بيعذبني ، أقولك نصيحة؟

- أنت تقول نصيحه ، وضميرك يعذبك ، أنت عندك ضمير؟

- عندك حق ، فاكراني شيطان؟ أيوه عندي ضمير.ويتابع: اختارى صح، اختارى اللي يحبك لنفسك وميكونش طمعان فيكي ماديًا ، بصراحة انا فى البدايه كنت شايفك لقطه حلوه، شقه، عربيه وفلوس، لكني والله حبيتك بجد بعدها..... أنا.....

لا تدري لمياء، متى أغلقت التليفون ولا آخر كلماته وإن كانت قد سلمت أم لا؟!

بعد ستة أشهر كانت ملأمح لمياء قد اختلفت، فالابتسامة البريئة قد اختفت، ولا سكوت لموقف أو كلام لا يعجبها ، ولا تترك ثأرها.

تقود سيارتها كمن يسير في الزحام، يضرب الناس بكوعيه في جنوبهم فلا سكوت لأي من كان.

وبعد أن كانت تتمنى من طليقها أن يبتعد عنها فقط رفعت ضده قضايا نفقة، كالأسد الجريح أصبح الجميع يخشاها ويحسب لها ألف حساب.

فرحت لمياء بإنجازها واتخذته منهجًا ، فلا تنازل مع من لا يستحق والاستحقاق هنا حسب تقديرها.حتى يوم كانت لمياء بمكتبها تتابع عملها بشخصيتيها، أحدهما قاسية جامدة لا تتأثر بدموع لكل الناس، والثانية رقيقة حنونة لبناتها وصديقتها شيماء والطيبين القدامي ممن تعرفهم.

ذاك اليوم

يتصل أكمل على تليفون المكتب؛ لأنها لم ترد على الموبايل، طالبًا منها بكل وقاحة أن يراها؛ لأنه سيسافر للعمل كأستاذ في إحدى الجامعات.

- يا ابني أنت مبتفهمش!
- يا ابني ومبتفهمش، أنا بكلم لولي ولا بكلم مين؟!
- أنا مشغولة بعد إذن حضرتك.
- أنا أتجوزت من شهر.
- مبروك وبعدين، عاوز هدية؟
- لا، لكن وحشتيني.
- عيب عليك أنت عريس، هتعمل إيه بعد كدا؟
- قرفان يا لولي؛ مخها صغير.
- مخها على قد سنها، مش مشكلتها إنك كبير عليها.
- شفتك وإنتي بتعدي الشارع من أسبوع.
- آه، شفتك.
- كانت لابسة هدومها بسرعة .. كنا رايحين للدكتور .. كانت تعبانة بس هي بتلبس كويس ... لكن....

تضحك لمياء ضحكة شامتة مقصودة:

- إيه التبريرات دي كلها، أنت مهووس بالمظاهر، وعمرك ما هتثق بنفسك أنت خلاص. راح أكمل الواثق، أنت أكمل المهزوز، المهزوم
- هسافر من غير ما أشوف القمر؟

– على فكرة قابلت دكتور محمود من أسبوع.

– مين دكتور محمود؟

– صاحبك وصديقك العزيز، اللي كنت بتعالجني بالتليفون مجاملة له.

– أنا كذبت ، لإني كنت معجب بيكي.

– كذاب، أنت اعترفت إنك كنت طمعان.

– أكمل: آسف لولي.

– أنت بتعتذر كتير وأنا مش قابلة اعتذاراتك، أقولك نصيحة: احترم نفسك ومراتك يا راجل الأيام الجاية هترد لك كل اللي بتعمله.

– اتكل على الله، وأغلقت التليفون.

شعرت لمياء بالوحدة والفقدان؛ لسفر أكمل ، تسأل نفسها: أنا بكرهه إزاي أفتقده ، تبتسم ....إيه يا لولي، كملي نسيان، تمنع دمعة من النزول وتسحب حقيبتها وتترك مكتبها وتمشي تجوب المحلات التجارية ، تشعر بالإجهاد فتعود للبيت.

مرت أعوام، لتصل ثقة لمياء في البشر إلى اللاثقة، وتصعد حدتها في التعامل مع من يمس طرف لها إلى قمتها متبعة مبدأً جديدًا وضعته.فيما عدا بناتي وشيماء فلتحترق الدنيا كلها.وأصبحت لمياء مريضة بكل الأمراض، ولا تذهب للطبيب فهي تعرف مرضها، حتى تضطر للذهاب لطبيب أمراض عصبية لألام شديدة بذراعها ،فتطلب من شيماء الذهاب معها للكشف.وبعد عمل الفحوص لا شيء، ويقرر الطبيب عمل جلسات نفسية لها مع علاج بسيط في البداية حتى الشفاء.

تضحك لمياء:

– دكتور مع احترامي لحضرتك، ريح دماغك مشكلتي ملهاش حل.وتتابع وهي تضحك ضحكة عالية: أنا دكتورة كبيرة ، دكتوراة منازل.

– الطبيب: إزاي تضحكي وإنتي حاسة بالألم؟ ليه بقى تعبانة؟!

تدمع عينا لمياء من مفاجأة السؤال، وتلحق بدموعها، ولا تتركها تنزل على خديها.

– لابد من الجلسات يا دكتورة من منازلهم .

تضطر لمياء بمساعدة شيماء من استيفاء قصتها في وقت قصير.

– مشكلتك في الوحدة، ونفسك اللي مش بتثق بالناس وتعاملهم بعنف، إنتي غاضبة حتى من نفسك والحل مصالحة مع نفسك، وبعدها مع من حولك.

– مش قادرة ومش عاوزة، مش هرجع لمياء الهبلة.

– لمياء الطيبة، ليه ما اتجوزتيش؟

– تطلق لمياء ضحكة عالية: أنا أتجوز تاني... لا .. ويطلع طمعان ولا مرضان لا وألف لا.

– المرضان هو طليقك، مين بقى الطمعان؟

تحكي لمياء حكايتها وأكمل بدون ذكر اسمه وتفاجأ لمياء بدهشة على وجه الطبيب، ويسألها عن اسمه فلا ترضى أن تذكر اسمه... فيكمل الطبيب حواره معها، ولم تنتبه لمياء لنيته، ليتركها تحكي حتى سألها فجأة

– هو ليه عمل كدا؟

- تقصد مين زوجي ولا أكمل؟

- يضحك الطبيب وتفاجأ لمياء بما قالته وتشعر بالضيق منه.

- أها إنتي، عرفت من بداية الحكاية إنتي اللي حكى لي أكمل عنها.

تصعق لمياء ويستمر الطبيب في الكلام:

- أكمل زميل واضطر يحكي عنك؛ لإنه كان تعب قوي .... وما زال .... كدا عرفنا العلاج.

- تسأله لمياء: إيه العلاج؟

- الطبيب: الإيمان إنك الأفضل إنتي على حالتك دي، إنما بتحترمي نفسك ومش تحتقريها وماعندكيش إحساس بالذنب، إنما هو حاسس بكل دا وكمان مرضه الأساسى اللي عارفاه.

- ويتابع: إذًا إنتي الأقوى، إنتي الأفضل ومستقرة نفسيًا أكتر منه بكتير.

- لمياء : أنا!

- الطبيب: بالإضافة إلى عذابه من زوجته كما توقعتيها وأكتر، مفيش تفاهم نهائي ومبقاش أكمل المعتد بنفسه، بقى رجل بائس يعيش لأولاده مع زوجة تعشق الصراخ والخناق.حياته مجبر فيها على حاجات بيكرهها ولا يقدر يعترض ولا يهرب.إنما إنتي لولي كما كان يقول: لولي مجبرة على شيء؟ ويتابع دون انتظار ردها : لا بني آدم يقدر يجبرك على حاجة وراسك مرفوعة، تسامحي في حياتك كلها مع الناس مش كل الرجال جوزك ولا أكمل.

تهز لمياء رأسها بالرفض لكلامه. ويكمل وكأنها لم ترفض:

- التصالح مع الناس مفيد ليكي، مش للناس، نتعلم البعد عن المشاحنات،

وفي نفس الوقت الحرص إن محدش يخدعنا.

– أخيرًا تنطق لمياء: أنا سعيدة، اللهم لا شماتة؛ يشرب اللي عصره بالهنا والشفاء ربنا يزيده ...

– اسمعي.

– اسمع أنت لوجه الله، اكتب لي أقراص تساعدني على تحمل الحياة، وتربية بناتي وإلا ذنبي وبناتي برقبتك لو مرضت أو مت. وبعدين نفكر في الصلح ..... هتصالح.... مع كل حاجة، وعد، صدقني

وتتنفس لمياء بهدوء، والطبيب يكتب الأقراص المناسبة لها.

– ها هتصالحني عليها ؟

– على مين؟

– الدنيا، إنما لمياء أنا بحبها.

تمت

شاب

نشأ سيف طفل ذكي لأب وأم من عائلة ذات مراكز مرموقة، ونظراً لانشغال الأب الدائم بعمله وقع عبء تربية الأبناء على الأم التي تركت عملها عن اقتناع، طبقًا لقوانين الأسرة للتفرغ لتربية سيف وإخوته.وكانت الأم قوية حازمة، لا تفوّت هفوة للأطفال، فربتهم على الصلاة والالتزام، كما تربت هي وأمها وجدتها، دائما كانت الأم تذكّر سيفًا بوقار أبيه وصرامته وجدّيته في عمله واحترام الجميع له، ولا بد أن يكون مثله، أما البنات فتربيتهن مثلما سبق، بالإضافة للحجاب المبكر والزواج المبكر من شاب يشترط فيه نفس صفات العائلة، من وقار وجدية ومركز وإلخ...

كان ترتيب سيف الرابع في الأبناء، يسبقه ثلاث بنات ويليه ولد.تمتع سيف بمستوى عائلته المادي المرتفع؛ فكان التحاقه بالنادى أمرًا عاديًا، وتعلمه رياضة الكاراتية، حتى وصل للمستوى السابع.ولأن سيف يطبّق جميع الأوامر والمبادئ والأصول، ويبتعد عن ما يقلل من هيبته بالإضافة إلى تحمله المسؤولية وخفه الدم، كان محبوبًا ممن حوله وعائلته.لكن ما كان يؤخذ على سيف تغيره المفاجئ من حال إلى حال، كما ظهر في تحوله المفاجئ لهم من الالتزام الهادئ إلى اعتناق فكر إحدى الجماعات المتشددة، فأطلق لحيته بلا تهذيب وارتدى الجلباب القصير و.....، تذهب كل محاولات الأب والعائلة لإبعاده عن هذا الطريق هباءً؛ حتى تركهم فجأة وخلع الجلباب وعاد لتأنقه المعتاد.

ولم تفهم العائلة لِم ذهب؟ ولماذا عاد؟ ولم يسألوه، فالمهم عندهم أنه عاد.لكنهم لم يدركوا أن سيفًا لا يتحدث بما يدور في رأسه من أفكار، فهو يدرس ويفكر طويلًا، ثم ينفذ سريعًا بمجرد اتخاذ القرار، فيبدو الأمر مفاجئًا لمن حوله. كان الجميع يعلم أن حلم سيف الحصول على الدكتوراه في الهندسة، لكنهم لا يعلمون الحقيقة، إنه قرار وليس حلمًا، وقد عمل سيف على تنفيذ قراره حتى التحق بكلية الهندسة.

كان سيف مثالًا للشاب الراقي الجذاب، بجانب تربيته؛ فهو طويل القامة، متناسق الجسم، له شكل الرياضيين، خمري اللون، ذو شعر بني وعيون عسلية، فكان له خلال سنوات الجامعة، ثلاث تجارب عاطفية، لكنها انتهت كلها من ناحيته، رغم أنه لا يتلاعب أو يخدع، إنما نتيجة اقتناعه بقواعد الزوجة وقوانينها ، كما يراها في أمه وأخواته ، وكل من أحبهن

مخالفات لقاعدة أواثنتين، وبالتالي لا يصلحن للزواج من وجهة نظرة!ونتيجة لوفاة والده لم يحصل سيف على التقدير الذي يؤهله لدخول سلك التدريس في الكلية، لكنه لم يفكر لحظة في التخلي عن قراره. (الدكتوراه)

وبدأ فورًا في العمل كمهندس تنفيذي، بعد تأجيل التجنيد نظراً لصغر سن أخيه، ثم أعفي بعد ذلك مع بعض الدفعات التي أعفيت.وكما كان سيف متفوقًا دراسيًا كان جادا ملتزما صارمًا في عمله، كما كان الأب المثل والقدوة، كان سيف يتابع عمله تحت الشمس وفوق السقالات بلا ملل أو إهمال، وعانى كأي مهندس مصري حديث التخرج من مشاكل المقاولين وسرقة مواد البناء، فتنقل من شركة لأخرى، واكتسب خبرات كثيرة، حتى فاز في مسابقة للعمل بشركة كبيرة شهيرة لا سرقة فيها وإن ظل غير راضٍ عن أساليب العمل وأدواته؛ فهو يحلم بما يطلع عليه من أدوات بناء حديثة في المجلات الهندسية والمؤتمرات.

اعتاد سيف الاستيقاظ؛ ليصلي المغرب، بعد قيلولة الغذاء، وينزل ليقابل أحد الأصدقاء، والأغلب زيارات إخوته وتلبية طلباتهم وأمه.بينما هو ذاهب لمقابلة صديق يسكن في نفس شارعهم الراقي، لفتت نظره فتاة شقراء رائعة الجمال، ذات عينين خضراوان، وجسم رشيق رقيق كملامحها، تسير مع فتاة أخرى وسيدة، ويتبعهم بعينيه ويدخل خلفهم صيدلية بجوار سكن صديقه متعللاً بشراء مسكن ويتلكأ؛ حتى تنتهيا ويتبعها للخارج، لتزل قدم السيدة فيسرع سيف ويمنعها من السقوط ويسندها لتجلس، مظهراً الاهتمام بها ويبذل جهدا حتى لا ينظر للفتاه الشقراء حتى لا تضيع هيبته، ويطلب منهما الانتظار حتى يحضر السيارة لتوصيلهم وتخبره السيدة أنها

تسكن الفيلا المجاورة ليكتشف أنها أم صديقه المتواعد معه.

وكعادة سيف، التفكير العميق الطويل، درس فكرة زواجه من الفتاه الشقراء، فهى أخت صديقه ومطابقة للمواصفات المعروفة لنا كما سبق. فعائلتها محترمة مستقرة كعائلته، أبوها ذو مركز مرموق والأم طيبة حازمة كأمه وأكثر تشددا في تربية البنات، وهي طالبة في كلية نظرية مرموقة بالإضافة لما تهوى نفسه، وإن لم يصرح به (الجمال) وبتفكير شاب شرقي، ماذا يتبقى من مواصفات جيدة؟ الإجابة: لا شيء فكل النساء بعد ذلك سواء!!!!!

تمت الخطبة بمباركة العائلتين على أن يتم الزواج بعد انتهائها من الدراسة بعد سنتين، لم يخرجا كخطيبين إلا مرتين خلال شهرين، وفيما عدا ذلك زيارات أسبوعية يجلس مع ليلى وأسرتها.

لاحظ سيف أن خطيبته ليلى صامته دائما، لا رأي لها في أي حوار يدور بينهما، ولا قرار لها إذا طلب سيف رأيها في موضوع يخصهما، وردها الدائم: « كما ترى»، وكعادة المصريين برر ذلك بأنها صغيرة السن وخجولة، وقلة تعاملها مع الناس، ولا تخرج وحدها أبدا، فلم يقلق سيف حتى بعد أن عرف صمتها وسط عائلتها، فقد كان مأخوذًا بجمالها فرحًا بموافقتها على كل ما يقرر، مستبشرا بعدم وجود خلافات.

تمرض أم سيف وتدخل المستشفى ويزداد مرضها، ولم تتأخر عائلة ليلى في زياراتها اليومية صباحًا ومساءً، حتى توفيت الأم، وتسانده عائلة ليلى نفسيًا في حالة الحزن الشديد التي أطبقت على سيف لارتباطه الشديد

بأمه،فبقى بحجرته أسبوعين طالقًا لحيته تاركًا عمله.

فكانت حماته تذهب يوميًا بالطعام له وأخيه الأصغر، وللحرج من حماته اضطر للخروج من حجرته ليريحها من إحضار الطعام ويتعلم الطهي ويعتني بأخيه الأصغر، وعاد لعمله واستمرت الحياة في مسارها.

وتظهر طيبة حماته وصفاء نيتها بأن تشير عليه بسرعة تجهيز الشقة للزواج؛ حتى لا يعيش وحده في حزنه ولا داعي لانتظار إنهاء ليلى لدراستها.

ويبدأ كل طرف في التجهيز طبقًا لما اتفقوا عليه، وطبقا لنظام عائلته (والذى يلتزم به) كل طرف حر في انتقاء ما سيدفع ثمنه لكن تفضلًا من سيف، أحضر صور غرف نوم وسفرة؛ لتنتقي ليلى وأمها منهم، ولم تطلب ليلى كأي عروس مشاهدة كتالوجات أو اللف على المحلات لمشاهدة غرف أخرى، وتم كل الجهاز في هدوء شديد وفرح صغير بلا اعتراضات أو اقتراحات من ليلى.

مرت أشهر على الزواج ووجد سيف في ليلى ربة منزل رائعة وطاهية ممتازة، بلا طلبات ولا تطلعات ولا اعتراضات، لا ترفض طلبًا لسيف، لكن إذا سألها في شأن لهما تجيبه بسرعة، أنها تثق في حسن اختياره وتطالبه بتركها لكثرة أعمالها بجانب دراستها.أما كزوجة فلم يجد سيف ما يحلم به ـوإن لم يصرح بأحلامهـ أي شاب في عروسه؛ فلا مناغشة ولا دلال ولا تفاعل مع سيف في علاقتهما الخاصة .. صامتة في كل .. كل علاقاتها به.

حاول سيف بالتلميح تارة والتصريح تارة، بما يريده من ليلى كزوجة، بلا فائدة.ليتجه سيف للانغماس في العمل ودراسة الماجستير، واضعًا قناعًا من الصرامة في التعامل مع زميلات العمل؛ للبعد عن إيه مغريات أو تقارب مع أي امرأة.

أما ليلى فتعمل في المنزل، لا تفتح باب حجرته إلا لتبلغه بقدوم ضيف أو للطعام، بلا ضحكة أو حتى سؤاله عما يفعله أو من يحادثه حتى لو كانت المتحدثة امرأة!!!!

بينما كان سيف يبحث عن مرجع في دار الكتب، اشترى لها مجموعة من الروايات العاطفية المصرية المترجمة، علها تفهم وتتعلم منها طبيعة علاقة المتحابين أو المتزوجين، ولم يجد منها أي تغيّر. فسألها: لم لا تكوني مثل بطلات القصص اللاتي يحتضن ويقبلن أزواجهن فجأة أو غيره من (مناغشة) ليفاجأ بردّها: أنا غيرهم.

- يحترق سيف غضبًا: ليه؟

- ليلى: أنا كدا.

بدأ سيف هو الآخر الاتجاه للصمت، فقد سأم الكلام بلا رد وشعور البرود وفقدان العاطفة والروح، زاد الأمر بعد أن وضعت ليلى أول طفلة لها فانشغلت أكثر وانفصلت لتنام في غرفة الطفلة. « وتتركه لمذاكرته» كما قالت له.

مرت أربع سنوات حصل سيف خلالها على الماجستير بجانب خبرة واسعة في عمله،وبدأ البحث عن دولة أوروبية تقبله كدارس وقضى وقتًا

وجهدا في التقدُّم للسفارات ومعرفة شروط كل دولة حتى استقر أمره على السفر لهولندا التي تشترط دراسة اللغة بها سنتين حتى الإجادة، ع كس ألمانيا التي تشترط إتقان اللغه قبل السفر.

وبدأ سيف في تجهيز الأوراق، للإقامة كدارس وكعادته كان يدَّخر المال الكافي لتنفيذ قراره (الدكتوراه) كجزء من تخطيطه لمستقبله مع نفسه.

في حين أنجزت ليلى ثلاثة أطفال في أربع سنوات، وانفصال نفسي عن سيف رغم أنها تحبه واستعدادها لتحمل بعده عنها لتحقيق حلمه، بلا أملٍ في تفاعلها أو الخروج عن صمتها أو التغيير حتى في ملابسها هي دائمًا بجلباب البيت؛ لتخدم أطفالها كما يجب.يصل سيف مطار أمستردام،بعدما قضى رحلة الطائرة باكيًا؛ لابتعاده عن أطفاله وخوفه عليهم، واثقًا من حسن رعاية ليلى لهم بمساعدة عائلتها والتي انتقلت للعيش معهم حتى يعود.

ينشغل سيف في إنهاء إجراءات المطار السهلة المرتبة، وبالتالي سريعًا يخرج من المطار متوجهًا إلى المترو(أندر جروند) للذهاب إلى « مير»حيث سيقيم ويدرس أثناء بحثه عن شباك التذاكر الخاص لـ « مير» يجد رجلًا أسمر، شعره أسود، يسلم عليه ويعرفه بنفسه باللغة العربية، اسمه محمد من المغرب ويقيم في هولندا من فترة طويلة، ويسأله سيف: كيف عرف أنه عربي؟! ليجيبه محمد أنه أحس أن سيف مصري من شكله، وبصعوبة يفهم سيف منه مكان الشباك بلهجته المغربية منبهًا سيف لتغيير توقيت ساعته.

يصل سيف «مير» وبالتاكسي يصل الفندق الذي حجز فيه مسبقًا عن طريق إحدى الشركات السياحية.

كان فندقًا ثلاثة نجوم، ثمن الغرفة في الأسبوع ٣٥٠ يورو بدون طعام، يفاجأ سيف بفخامة الفندق، وديكوراته وتجهيزاته التي تتعدى فخامة فنادق الخمس نجوم بمصر، وما إن دخل سيف غرفته حتى أجهش بالبكاء. ومشاعر غربة وشوق لأطفاله، من الثانية عشرة مساءً وحتى الرابعة صباحًا لا يستطيع النوم، يريد الخروج للشارع تمنعه مشاعر خوف لم يعرفها في نفسه من قبل، حتى يقرر كسر حاجز خوفه ويخرج.

كان سيف قد وصل يوم جمعة وهو بداية إجازه نهاية الأسبوع من منتصف الجمعة إلى صباح الاثنين، والهولنديون لا ينامون في الإجازات قبل الصباح، يجد سيف الشوارع مليئة بالساهرين.

بجانب الفندق يجد مجموعة فتيات من جنسيات مختلفة، شكلهن ينبئ عن مهنتهم بما يسمى (توهور) أي فتيات ليل، والشرطة هنا وهناك لا تعترضهم؛ ليعلم بعد ذلك أنهن يعملن بتصريح عمل من الحكومة، ويخضعن لقانون العمل الأوروبي كأي عامل، ويدفعن ضرائب عن عملهن كفتيات ليل.يتمشى سيف في الشارع الرئيسي، والذي يقع فيه الفندق، مأخوذًا مما يراه من رجال ونساء من كل الأعمار في أوضاع مخلة على جانبي الطريق.

والشرطة أيضًا لا تقترب منهما، ويتضح له فيما بعد أن القانون الهولندي يبيح لمواطنيه الحرية الكاملة لفعل ما يريدون، لا يجرم إلا من يخلع كل ملابسه، كان سيف يسمع عن التحرر في أوروبا، لكن من سمع ليس

كمن رأى، ولا أحد ينظر إليهم إلا سيف والذى يحاول تجاهلهم بصعوبة.

يكمل سيره ليجد على صفي الشارع وعلى دورين فتارين لعرض نساء شبه عاريات، ولكل منهن سعر حسب سنها وجمالها والإقبال عليها ليتراوح بين ثلاثين وخمسين يورو، يبعد سيف عينيه عنهن؛ مشفقًا عليهن.يكمل سيره ليجد تجمعًا كبيرًا عند شاشة عرض عملاقة للدعاية على باب كازينو، يقترب ليجد فتاة ترقص رقصة التعري (الاستربتيز) بالداخل، يسرع بالجري من أمامها خافضًا رأسه؛ لكي لا يراها فالفتاة رائعة الجمال.

يجلس على «الكافية» الملاصق للكازينو؛ ليستريح ويكمل الاستعاذة بالله والتسبيح والذي بدأه على باب الفندق. ويعود للفندق متحاشيًا النظر لكل مثير رآه والنتيجة أنه لم يرفع عينيه عن قدميه، حتى وصل وصعد لغرفته لينام.

يخرج سيف صباح اليوم التالي بعد أن سأل موظف الفندق عن أماكن تواجد المصريين ويصف له أحد (الكافيهات) كتجمع لهم. يذهب لمقهى المصريين يسمع لهجات عربية مختلفة ويتلفت حوله يبحث عمن يحادثه، يجد رجلًا أبيض، شعره أسود، يبدو من شكله أنه ينتمي لمنطقه الشام، ينظر لسيف ويسأله: مصري؟ يشعر سيف كأنه ينجو من الغرق، وعدنان السوري فرح بمن يتحدث معه باللغة العربية،موضحًا له فيما بعد أنه قد شعر تجاهه بأخوة وصداقة، وكأنه يعرفه من زمن.

يعرفه عدنان بنفسه أنه يعيش في هولندا منذ تسعة عشر عامًا، ومتزوج من محامية هولندية وحصل على الجنسية الهولندية ولديه ابنة شابة.وقد ساعدته

زوجته على الحصول على عمل كمترجم في المجلس المحلي، ومدرس لغة عربية بإحدى المدارس الليلية وكمحلف قضائي في المحكمة، ولتبدأ صداقة تقوى بمرور الوقت.

يذهب سيف في اليوم التالي لمكتب العمل لتسجيل اسمه؛ لسرعة الحصول على عمل، كما نصحه عدنان. وفي المساء يأخذه عدنان في جولة بسيارته؛ لتعريفه بالمدينة، وتحادثا في أمور كثيرة، وأخذه لماركت لشراء طلبات لبيته واشترى سيف بعض المعلبات ووجد أسعار الطعام رخيصة جدا سواء المطهي أو الطازج، ويخبره عدنان أن الحياة هناك رخيصة ماعدا السكن والغاز والكهرباء والضرائب، يقابلهم رجل يسلم على عدنان بحرارة، ومعه طفلان ويحمل سبت الماركت ليفاجأ سيف أنه النائب العام، ويعتاد سيف بعد ذلك رؤية وزراء أو نواب في المترو أو الأتوبيس.يوصل عدنان سيف للفندق على ميعاد لقاء آخر.

ويتصل سيف على أولاده واطمئن بسماع أصواتهم، ويصلي ويسبح حتى ينام.

في الصباح التالي قدم أوراقه للجامعة، وطلبوا منه التوجه لمكتب خاص لتحديد مستواه الدراسي، يقدم نفسه للممتحنة وتسأله عن سنوات دراسته وتذهل قائلة (أماي) يعني: ياللهول أو (ياهوى) بالمصري؛ عندما أخبرها أنه درس أربعا وعشرين سنة، فتحدد له مستوى الثانوي، لدراسة اللغة نظراً لسنوات دراسته الطويلة؛ لأن الأغلب في أوروبا يكتفي بالثانوي ويعمل ولا يدرس بالجامعة.

عاد للجامعة بختم تحديد المستوى ويطلب منه وجود عنوان سكن. فيدفع المصاريف وكانت ألفين وسبعمائة يورو، وبدأ في البحث عن سكن.يتوجه في المساء لمقهى تجمع المصريين ويسأل عن مصري فيتعرف على عبد السلام مهندس مثله، ويعمل في هولندا منذ مدة طويلة وهو من الإسكندرية، ويعيش وحده لأنه يخشى على بناته من الحياة المتحررة هناك، وحكى له أنهم يشرحون للأطفال في الحضانة حقوقهم في القانون الهولندي، وكيف أن ابنة زميلهم في الخامسة من عمرها قالت: « ليس من حقك أن تعنفني وإلا سأبلّغ البوليس عنك».

وابنة زميل آخر بلغت الثامنة عشر فتركت البيت لتعيش مع صديقها، وعندما حاول أبوها منعها، طلبت له البوليس، وأخذ عليه تعهد بمنعه من القرب من منطقتها. كان سيف ينوي إحضار أطفاله بعد الاستقرار، لكنه ألغى نيته بعد سماعه تلك القصص.

وأرشده عبد السلام إلى عنوان سكن في نفس الشارع الذى يقع فيه الفندق. يشعر سيف وعبد السلام بالراحة النفسية المتبادلة، والحوار بينهما أمدهما بإحساس أمان الوطن المفتقد منذ وصولهم،ويتبادلان أرقام تليفوناتهما للقاء آخر.

يذهب سيف لاستئجار الشقة التي أرشده إليها عبد السلام، ويتسلم عقد الإيجار ويذهب به إلى الجامعة وقسم الشرطة؛ لإبلاغهم بالعنوان، ويأتى ضباط شرطة للتأكد من وجوده، وبالتالي إبلاغ الجامعة به وختم كارت الإقامة للدراسة.

وهكذا استقر سيف في خلال شهر وفي الشهر التالي حصل على وظيفة مناسبة،فرح عبد السلام بوظيفة سيف في شركة إعلان، كمدخل للصور على الكمبيوتر، لأنه من الصعب الحصول على وظيفة مثلها، وأعده من المحظوظين بها، القانون الهولندي يسمح للطلبة بالعمل ثلاث ساعات فقط تودع في حساب بنكي بِاسْمه بعد اقتطاع الضرائب، لكن سيفًا كان يعمل خمس ساعات أُخرى بالاتفاق مع صاحب الشركة من الباطن، ويتسلم سيف أجرهم بيده بعيدا عن البنك فكان مرتبه يكفيه ويرسل مصاريف أولاده شهريا بمصر.

يتعرف سيف على مجموعة من المصريين منهم أحمد، والذي تزوج بعد ذلك من هولندية تعرف عليها عن طريق سيف، وأنجب منها بنتًا، وسمير مدمن الخمر وفتيات الليل، وعمرو المتزوج من هولندية طيبة تكبره في السن من أجل الجنسية، لكنه أحبها بعد ذلك ويعيش معها سنوات، ويضطر أن يطلقها؛ ليتزوج مصرية وينجب أطفالًا وتقبل الطلاق،وهى حزينة وحكايات لا تنتهي عن المصريين هناك. يخرط سيف في العمل والدراسة في المدرسة الثانوية، والتي شاهد فيها الطلبة والطالبات، والمثليين أيضًا، في أوضاع مخلة في طرقات الدراسة وقاعاتها بلا تدخل من أحد، طبقًا للقانون الهولندي طالما لم يخلعوا ملابسهم، ما جعل سيف يتأكد من صحة قراره بعدم إحضار أطفاله.

دراسة اللغة كانت صعبة بالنسبة له في العام الأول، لكن سيفًا اجتهد في التعامل مع من حوله؛ لإتقان اللغة.مرت الأيام حلوة في صحبة الأصدقاء في نهاية الأسبوع، ومرة أحيانا كأول يوم في رمضان والعيد بعيدا عن

الأهل والأبناء.

ويتعرف على مجموعة لطيفة من المغاربة، وينصحه عبد السلام بالسفر معهم في الإجازات؛ للسياحة فهم يعرفون كل شبر في بلجيكا وفرنسا، بالإضافة لإسبانيا ومعهم ستكون السياحه جميلة ورخيصة الثمن أيضًا، فاستطاع قضاء العطلات في السياحة معهم، ناسيًا مرار الغربة.

مر العام الأول ورتب لإجازة شهر يوليو في مصر، فمن حقه طبقًا لقانون العمل أسبوعين إجازة في يناير ومثلهما في يوليو أو أن يجمعهم معًا شهراً كاملاً سواء في يناير أو يوليو، جهز حقائبه وهدايا زوجته وأولاده وخرج ليتمشى في الشارع الرئيسي، وكعادته يسبح ويذكر الله خافضًا رأسه؛ طالبًا الحماية من الله مما يراه بالشوارع من عري وحرية طبقًا للقانون الهولندي.يسمع الموسيقى التي اعتاد سماعها كلما اقترب من الكازينو، ولا يستطيع منع نفسه من استراق نظرة للشاشة الإعلانية التي تعرض رقصة التعري للفتاة الجميلة.

يجلس على الكافية المجاور للكازينو، يطلب عصير يشربه ببطء، ولا يستطيع منع نفسه من النظر للعشاق في أوضاعهم المخلة في الشوارع.يفاجأ سيف بدخول راقصة التعري بملابس هى أقرب للحشمة بالنسبة لمجتمعها، ينظر لها طويلًا، فتبتسم سائلة سيفًا: أتعرفنى؟ يسرع سيف بالجلوس إلى منضدتها ويعرفها بنفسه، وكيف أنه رآها على شاشة العرض، تعرفه بنفسها، واسمها سارة، ويفاجأ مرة ثانية أنها متعلمة.

يسألها سيف:

– لماذا ترقصين هذه الرقصه؟ انت متعلمه وغير مضطره لها ،يمكنك ايجاد عمل اخر!!

ويصعق سيف هذه المرة من إجابتها،

– لماذ استعملت كلمة اضطر أنا أحب الرقص!

يصرخ سيف:

– إنها رقصة تعرٍ وليست رقصة عادية.

تضحك سارة:

– إنه فن. أتحسبني فتاه ليل؟ لا، أنا شريفة، والمجتمع يحترمني، أنا فنانة، والرقص تعرٍ أو غيره هو فن.

ويكتشف سيف أنها أيضًا تدفع الضرائب وتتبع قانون العمل الأوروبي، ولهم حقوق نقابية وتدعوه للكازينو للمشاهدة ليقتنع أنه فن.

طوال رحلة الطائرة وسيف يفكر في شخصية سارة المتزنة ذات الرأي والحوار الممتع، ولو لم يكن قد شاهدها ترقص لما صدق أن تلك الشخصية الرائعة راقصة تعرٍ، ويفكر في ليلى والتي لم ير امرأة هولندية في سلبيتها وبرودها، وخصوصًا البرود، بدليل ما يحدث على جانبي الطريق طبقًا للقانون الهولندي.

يصل لبيته، ويحتضن أطفاله طويلًا يتشمم رائحتهم غير مصدق أنهم بين يديه، يرفع نظره أخيرًا ويرى ليلى كما هي يظن أنها بنفس القميص الذى

تركها به، الفرق في نظرة شوق في عينيها أعطته بعض الأمل في تعويض ألم حرمانه والمشاهد المخلة التي يراها في كل مكان.

بعد أيام نجد سيفًا قد عاد ليأسه من ليلى وصمتها رغم توقعه أحاديث طويلة تُحكى،عام كامل لكنها لا تحكي شيئًا، الحمد لله وكفى.

يعود سيف ليبدأ سنة دراسية جديدة، وينتظم في عمله لكن هذه المرة بلا خوف أو بكاء، فقط الاستمرار في التسبيح، وذكر الله وكأنه يستغيث بربه لإنقاذه من سأمه من ليلى وبرودها، واللهيب الذي يراه على الجانبين وشاشة العرض والفتارين، ويظل متمسكًا بالصلاة والهروب من كل امرأة تحاول إثارته أو دعوته لقضاء وقت معهامبتسمًا بسخرية ومرار، للفرق بين برود ليلى وسخونة من تدعوه.

وعلى مدار السنة يتصاعد غضبه من زوجته كلما تحدث مع امرأه ذات رأي وشخصية قوية، قوة غضبه، تدفعه للنجاح أكثر، والانغماس في العمل والدراسة. يمر العام الثاني أسرع من الأول، وقد أتقن سيف اللغة، ونجح واكتسب خبرات أكبر في الحياة والعمل ورحلات سياحة مع أصدقائه سواء المغاربة أو المصريين، وتشعبت علاقاته ومعارفه، وتوطدت صداقته مع عبد السلام وعدنان الذي يصحبه ثلاثة أيام في الأسبوع للمدرسة في طريقه للعمل، ويومين يذهب سيف للمدرسة في الباص.

ويتعرف خلال إحدى الرحلات إلى امرأة جميلة تدعى أنجيلا تدعوه للمبيت معها ويعتذر سيف، ثم نتصل به وتدعوه لمشروب بمقهى تملكه، يذهب إليها، وتدعوه إلى الشراب ويطول الحوار ثم يطلب شايًا، ليقدر

على السهر وعند انصرافه يطلب منه الجرسون ثلاثة يورو ثمن الشاي، فالدعوة لمشروب واحد فقط!!

وتبدأ مرحلة جديدة لسيف مع نساء هولندا والمعروف أنهن أجرأ من الرجال في طلب الحب!!! ولم يستطع سيف النجاة من الإغراء المتواصل لهيلينا زميلة العمل وتنهار مقاومته أمام ملابسها القصيرة وجمالها الصارخ في ساعة الراحة بالمكتب، مستمتعًا طبقًا للقانون الهولندي وهو أن يفعل ما يريد مع حبيبته في المكتب بلا حساب طالما في وقت الراحة ولم يخلع ملابسه. وتبدأ الكارثة مع أول قبلة من هيلينا الجريئة، والتي يشعر أنها بسنين زواجه من ليلى كلها.وتستمرعلاقته بهيلينا «طبقًا للقانون الهولندي» في المكتب أو السيارة فقط، رافضًا استقبالها في بيته أو تلبية الدعوة إلى بيتها.

داأ داداهاداها

حتى تضج هيلينا من رفضه العلاقة الكاملة وتبتعد عنه وهو على إصراره. ويصدم سيف بإصابة صديق عربى حاصل على الجنسية الهولندية بجلطة مخ عندما حاول إجبار ابنته على العودة معه لبلده لمنعها من علاقتها بصديق لها وتستغيث الابنة بشرطة المطار ويجبر الأب على تركها لأنها هولندية الجنسية مثله، وقد تخطت الستة عشر عاما.بعد حادث صديقه ووفاته يشعر سيف بحنين لأطفاله وخوف عليهم وخصوصا البنت الكبرى ويقرر الحصول على إجازته السنوية فورا والسفر للقاهرة بعد أن كان يفكر بقضاء الإجازة مع أصدقائه المغاربة في السياحة الأوروبية فيعتذر لهم ويعود.

يصل إلى بيته حاملا الهدايا لاطفاله وليلى كالمعتاد إنما الشوق لأطفاله فقط، بعدما سلم على ليلى وهى ترتدى قميصا لا يعرف اسم لونه أن كان بستاجًا أو ثلجي اللون ككل ملابسها والتي لا ترضى بسواها.

يسأم سيف خلال الإجازة من ليلى كالعادة إنما الجديد نفاذ صبره وعصبيته الشديدة وانفلات زمام أمره في الحرص على عدم علو صوته،يقطع الإجازة ويلحق بأصدقائه المغاربة في إسبانيا مكملا إجازته معهم.

يبدأ سيف سنته الجامعية الأولى وأخيرًا لم يعد ينظر للمتحابين على جانبي الطريق مثل الأوروبيين ونسى التسبيح وذكر الله إلا عند النوم وعدم الانتظام في الصلاة وانخرط مع الأصدقاء الهولنديين معجبا بالفكر والاجتهاد الأوروبى، وما زال لايشرب خمورًا أو مخدرات ولا حتى السجائر العادية أو القهوه،وينتقل للعمل في شركه أخرى عن طريق مكتب عمل خاص يحصل على عمولة قليلة جدا حوالي خمسة يورو شهريًا عكس مكتب العمل الحكومي لا يحصل أي نقود من المستفيد.

وما زال يحرص على عدم النظر لثتارين عرض النساء ولم يلبِ دعوة سارة راقصة التعري بمشاهدة العرض داخل الكازينو.

والحرص على العمل ثمانى ساعات يوميا بجانب الاجتهاد في الدراسه لإنجاز الدكتوراه في مده أقل من أربع سنوات حتى يتمكن من إرسال مصاريف الأولاد الشهرية ومتطلبات حياته ودراسته، ولا ينسى ارسال حقائب الملابس والهدايا لأطفاله وليلى، مع أي صديق مصري عائد لمصر على أن يدفع سيف ثمن الوزن في الطائرة حتى أطلق علية اصدقاؤه (سيف

شنطة) وقد حرص على ذلك طوال مدة إقامته بهولندا.

وتمر السنة الثالثة أسرع ممن قبلها وينجح سيف دراسيًّا واجتماعيًّا وعمليًّا أكثر وأكثر، ويسقط للمرة الثانية مع زميلة عمل جديدة طبقا للقانون الهولندي حريصا على عدم حدوث علاقة زنا كاملةيعود في إجازته لأطفاله وما زال محافظا على قوة علاقته بهم رغم البعد عنهم محتويهم بنجاح خلال إجازته القصيرة، والتي أصبحت أسبوعين فقط والباقى يقضية في السياحة الأوروبية. وكعاده سيف وبعد نظرة قد بدأ في ادخار المال لتأمين مستقبل أبنائه وشراء شقق تمليك لهم الواحده تلو الأخرى.

وما زالت ليلى تعتنى جيدا بتعليم الأبناء وتربيتهم على الصلاة والخلق الحميد ونظافتهم و.... و..... إلخ، ولا ترفض طلبا لسيف ولا تتساءل عن عدم رغبته فيها و ضيق خلقه وازدياد عصبيته في التعامل معها، أو عن أي شيء آخر طالما الاطفال لا ينقصهم شيء.

الغريب في أمره أنه يعود لقناع الهيبة والوقار وانتظام الصلاة وعدم النظر لامرأة بمجرد نزوله أرض مطار القاهرة.

تبدأ السنة الرابعة في هولندا، والثانية في الجامعة وقد اكتسب سيف الكثير من الصفات الأوروبية، والتي زادته اجتهادا في كل نواحي حياته والقدرة على الحياة وحده أكثر وأكثر، والشتائم القبيحه أصبحت ملازمة لكلامه وسفالة الألفاظ وخصوصا مع الأصدقاء و النساء الهولنديات واللاتي أحببن ذلك منه جدًا وطبعًا يعبرن عن مشاعرهن تلك طبقًا للقانون الهولندي والذى يطبقه سيف بحذافيره.

ويحتاج سيف إلى تغيير كارت الإقامة من دارس إلى عامل للحصول على عمل أفضل ولمدة أطول لادخار المال لتنفيذ ما اتخذه من قرارات لتأمين حياة أولاده، ويعطية القانون هذا الحق بعد مرور ثلاث سنوات على إقامته في هولندا، ويحتاج لإمضاء ثلاثة هولنديين كشهود على أنهحسن الخلق منفذ للقوانين، والأهم غير متشدد دينيا.

ولأن القانون الهولندي يضع الطفل وما يخصه في المقام الأول في الأهمية تليه المرأة تليها الكلاب وفي النهاية الرجل، اختار سيف أن تكون إمضاءات الشهود كلها لنساء وبدا بزوجة صديقه السوري ووافقت وزوجة صديقه المصرى الطيبة، والتي طلقها فيما بعد وإن ظلت على علاقه الصداقه مع سيف، وافقت أيضًا ومضت بينما رفضت حبيبة قريب رغم ان سيف قد استضافهم فى القاهره من قبل الا انها بعدما خانها قريبه اعتبرت أن العرب كلهم خونة ويجب طردهم من بلدها، فاضطر للحصول على توقيع أصدقاء عرب حاصلين على الجنسية لتدعيم موقفه، وأثناء توقيع الكشف الطبي للحصول على الكارت تعرف لموظفة في المستشفي الحكومي،أعجبت بلطفه وخفة دمه فدعته لانتظارها لتوصيله وكانت جميلة هادئة وتكبره في السن بعشر سنوات فانتظرها على أساس صداقه قد تفيده وقامت بتوصيله، ودعته لزيارة بيتها والتعرف لابنها ووافق لعدم خوفه من الوقوع في شراكها لإحساسه ببراءة الدعوة ووعدها بالزيارة بعد انتهائه من استخراج الكارت، وقد كان، وحصل على كارت إقامه عامل.

ذهب سيف لتلبية دعوة مونيكا موظفة المستشفى، وتعرفه على ابنها المراهق ويلحظ أن لديها خلل نفسي ما، يعرفه بعد أن تحكي عن زوجها

الذى تركها وسافر وتولت هى تربية ابنهما لتظل سنوات طويلة ترفض صداقة أو علاقة مع أي رجل، حتى أحبت وانتقل الحبيب للعيش معها وابنها ليخونها ويهجرها وتصاب بعقده من الرجال تفقدها الثقه فيهم وفي نفسها،ويفاجأ سيف بحديثها الصريح أنها لا تريد علاقة معه إنما تريد صداقته؛ لأنها قد ابتعدت عن كل أصدقائها ويقبل سيف مرتاحًا لذلك ويخرجان معا ويتزاوران لفترة، حتى تخالف هي ما اتفقت علية مع سيف وتغريه أثناء نزهة لهم بالسيارة ويطبق سيف معها القانون الهولندي ممتنعا بعد ذلك عن الذهاب لبيتها لتنفيذ قراره بعدم إقامة علاقة كاملة حتى تضج من رفضه وتبتعد عنه ورغم افتقاد سيف لصداقتها إلا أنه أصر على موقفه، وينشغل أكثر في العمل والدراسة ويزيد في سياحته الفكرية والقراءة والاطلاع على كل ما هو جديد ويزداد ثقافة وسعة أفق تساعده عليه جارة له تخطت الستين من العمر والتي تعامله كأمه وتخدر من أسرة عريقة ويستمتع سيف بحكاياتها عن أسلافها وكيف كانت الحياة في الماضي وتعلمه الرقص وأصول الإتيكيت القديمة والتي شعر معها أنه في فيلم قديم أبيض وأسود وتعرفه إلى المتاحف والمزارات ويزداد سيف ثقافة،يفاجأ سيف باتصال من مونيكا تريد رؤيته لعدم استطاعتها نسيانه، ويعود سيف لمقابلتها بالسيارة طبقًا للقانون الهولندي حتى تضجر منه وتبتعد ثانية.

يعود سيف لبيته ويلاحظ الجميع ـما عدا ليلىـ تغير شخصية سيف وتحرره من توحيد طريقة التعامل مع الناس بشخصيته، وأصبح تعامله طبقا لشخصية المتعامل معه ونتيجة لعلوه الثقافي والحضاري تعامل مع من أقل منه بحنان أكثر وشفقة على الطبقات غير المثقفة وإن كان مشفقًا على الشعوب العربية كلها،ولولا خوفه على ابنتية من أخلاقيات

المجتمع الأوروبى لما تنازل عن تعليم وثقافة أوروبيين لأولاده، ونتضح هنا ازدواجية شخصيته الأوروبية الثقافة والعلم، والشرقية فيما يخص حريمه.

والنتيجة الحتمية لكل التغير السلبي والإيجابى في شخصية سيف والسكون لدرجة الموت في شخصية ليلى تتصاعد المشاكل مع ليلى، ويخرج سيف عن دمائة خلقه مع زوجته ويقسم بتحريمها عليه كزوجه إن سلمت على أحد أقاربها على خلاف معه كأي رجل شرقى متخلف، وطبعا لم تعترض ليلى و تضطر للسلام على القريب، وذلك عن خجل وسوء تصرف، وليس عن تحد أو إهمال لأوامر سيف الذى يطلقها رسميا لدى المأذون بمجرد علمه بما حدث، ويرتد للشخصية الأوروبية فورا بعد الطلاق، وكرجل دمث الخلق بإعطائها كل حقوقها والاستمرار في رعاية أبنائه والإنفاق عليهم وعدم إدخالهم كطرف في المشكلة بينهما، ويعود سيف لهولندا بعد قضاء أسبوع سياحه لطيف وحده شاعرا بالتحرر وبلا أي ندم على طلاق ليلى.

ويعود لعمله ودراسته مقررا قضاء بقية حياته بأوروبا، ويجتهد ويعمل ويعيش كأي أوروبى يرفض الخمر والمخدرات، وكشرقى يصر على رفض إقامه علاقه كاملة ويطبق فقط القانون الهولندي في شوارع ومكاتب هولندا.

ويمر العام مستمراً في الإنفاق على أبنائه مرسلًا حقائب الملابس والهدايا لأبنائه كالعادة كلما وجد مسافراء والحرص على حقيبة هدايا خاصة بليلى.

يحصل سيف على الدكتوراه في ثلاث سنوات فقط ويعود سيف مكملا ثمن آخر شقة تمليك باسم ابنته الصغيرة والبقاء لشهر كامل بصحبة أبنائه ومنحهم حنانا وشوقا واحتواء لعام كامل.

ويخطئ سيف حين ذهب للسلام على ليلى وعائلتها وشكرهم على رعاية أبنائه، حاملا حقيبة هداياها وباقة ورد كبيرة وتستقبله ليلى بشوق وفرح وعائلتها بترحاب كبير ظانين جميعا أنه جاء لرد ليلى.

ويشعر سيف بظنهم ولا يفكر في تنفيذه لثانية واحده، فقد وجد ليلى كما هى بملابسها الباهته الألوان وردها « لا شيء « على سؤال سيف عما فعلته من وقت سفره ومشى سيف مشفقًا عليها من دموع لاحظها في عيونها،نادمًا على إحضار الورد الذي أعطاها الأمل في الرجوع له.

ويعود الأستاذ مهندس سيف لهولندا فكلمة دكتور لا تستخدم في أوروبا للعمل كأي حاصل على الدكتوراة هناك في عمل راقٍ بمرتب كبير ويشتري سيارة جميلة ويؤجر شقة أكبر وأفضل ويدخر لأبنائه أكثر، مؤسسا لحياة مستقرة دائمة في أوروبا ويتردد في شراء منزل لحنينه الرجوع لحياته فى مصر وتحدث لجيعته الكبرى في وفاة عبد السلام شبه المفاجئة فقد كان يعاني من مرض لكن حالته كانت مستقرة ويحلم باليوم الذي يعود فيه لأبنائه يعيش معهم بعد انتهاء أقساط جامعاتهم وشققهم حتى استطاع احدهم الحصول على اجازه ومرافقه الجثمان، ويرى صديقه المقرب ومستشاره ومحل شكواه في صندوق خشبي متذكرا كل كلامه عن شوقه لأبنائه وعودته بدون المال الذي يحتاجونه، ويزيد الطين بلة أنه مرتبط بتسليم مشروع في موعد محدد، وترفض الشركة إعطاؤه إجازته ليرافق الصندوق إلى الإسكندرية خشية الشرط الجزائي الكبير، ويتباحث الأصدقاء فيمن يرافق الجثمان حتى يستطيع أحدهم الحصول على إجازته لمرافقته.

ويبكي سيف صديقه فترة طويلة كارهًا الغربة والمال الذي يمنعه من حضن أطفاله لذا عاد لبكاء شوقه لهم أو سماع أصواتهم في المكالمات التليفونية ،وينقطع تمامًا عن ممارسة القانون الهولندي بأي شكل من أشكاله، وعودة للتسبيح والصلاة التي توقف عنها

ذات ليلة يدفعه عدم استطاعته النوم من حزنه وانقطاعه عن تطبيق القانون الهولندي مع صديقته إلى الدخول لموقع على النت يذيع موسيقى مصاحبة لغرف الدردشة (الشات) يجد فتاة مصرية صغيرة السن تحكي عن أبوها الذى قضى عمره يعمل في الخليج، وتعيش هي وأمها في مصر وأنها تحمل هم الفترة التي يقضيها في الإجازة فهي لا تهتم بأوامره ولا تشعر بحنانه وهو ينوي العودة ليعيش معهم وهي غير متقبلة لوجوده.

ينهي سيف حواره مع الفتاة المصرية مقررا إنهاء عمله والعودة النهائية لمصر غير متردد أو عابئ لمال أو ترف حياة ومنصب.

عندما أنهى سيف كل ارتباطاته وباع سيارته كان قد مرعام ونصف منذ آخر إجازة بمصر،وعاد محملًا بالهدايا كالعادة بالإضافة لحقائب كثيرة تحوي كمية كبيرة من الملابس الأنيقة والعطور التي يعشقها تكفيه لأعوام، بعد جولة سياحية كبيرة مودعا بها أوروبا.

يذهب سيف للسلام على ليلى واصطحاب أطفاله لقضاء إجازتهم معه حاملًا هداياها ويسألها عما فعلته في العام ونصف العام، وقت سفره، ليجيء الرد كالعادة لا شيء ، وينصرف سيف غير عابئ بتوسلات إخوته وأطفاله للعودة لها فالكل لا يعلم السبب الحقيقى لطلاقه وضيقه من ليلى.

وسريعًا بدأ سيف البحث عن عمل لائق وقدم أوراقه وشهادات خبرته في جهات كثيرة حتى تسلم عمله في وزارة السياحه تخبير علاقات دولية مسؤول عن أقسام الإنشاءات التابعة للوزارة، واضعا في حسبانه الفروق بين العمل في أوروبا ومصر، حتى لا يصدم أويصاب بالضيق من البداية ويستطيع تكملة حياته بجانب أبنائه ورغم إعداد نفسه لإهمال الموظف المصري في العمل إلا أنه وجد الأمور أصعب مما أعد نفسه لها

من إهدار للمال العام والبيروقراطية، وكثرة الإمضاءات على الطلب الواحد، والبحث يستغرق وقتا طويلا جدا بلا داعٍ ودراسات جدوى غير موفقة وليست من أرض الواقع.

جاهد سيف مع نفسه ليكون متقبلا للواقع هادئ الأعصاب في معالجة أخطاء العاملين وإهمالهم منقسم نصفين بين الإشفاق عليهم من المرتبات الضئيلة التي لا تحتمل عقوبات الله والمواصلات الصعبه و... و.....وبين واجبه في انضباط العمل.

ولمحاولة إيجاد التوازن بين الموجود والمفروض كان يبذل جهدا أكبر في مراجعة أوراق على العاملين التابعين له القيام بها ، مقررا عمل اجتماع شهري لكل قسم تابع له ولا يتم أي اجتماع بدون توبيخ أو تحقيق مع موظف أو اثنين، تكون أخطاؤهم شديدة والعفو عن الباقين.

لاحظ سيف أثناء الاجتماع مع موظفي أحد الاقسام إعجاب موظفة به ملاحظا جاذبيتها الشديدة والتي تفوق جمالها بالإضافة إلى نظرتها الجريئة المثيرة كنساء أوروبا ويمر العديد من الاجتماعات بدون أن يستجيب لنداء نظراتها، فقد ارتدى القناع الشرقي منذ عودته إلى مصر كابتا كل رغباته واحتياجاته طبقًا للقانون المصري.

ذات يوم بعد نهاية الاجتماع نادت الموظفة ذات النظرة الجريئة «وعد»:

- دكتور سيف من فضلك قدمت طلب للنقل، ولم توافق الإدارة عليه.

- رسيف: احتمال لا توجد درجة لنقلك عليها، عاوزة تتنقلي ليه؟

- وعد: زميلاتى هنا بيغيروا مني ، دا غير قلة أدب الموظفين الرجال (وتخفض عينيها من الخجل) لأني مطلقة الكل طامع في.

يلاحظ سيف جمال ابتسامتها والأنوثة التي تفيض عن الحاجة بالإضافة لنظرتها الجريئة، يود معها لو يجرى من أمامها، كانت تضع كمية كبيرة من المساحيق كأنها ذاهبة لحفل مسائي وملابس ضيقة متناسقة الألوان وإن كانت رخيصة ليجد نفسه أمام نسخة(بلدي) مصرية للمرأة الهولندية التي يعشق جرأتها.

يجيبها سيف وهو يستدير ليمشي واضعا قناع الهيبة للسيطرة على ثورة جسده بأنه سيبحث لها عن درجة للنقل لتفاجئه بطلبها لرقم المحمول الخاص به، يعطيه لها وينزل مسرعا ليجد المحمول يرن.

-آلو، يا دكتور أنا وعد، قلت أرن عليك لتتصل بي تطمني على طلبي.

- سيف: حاضر حاضر هتصل أبلغك.

ويكتشف سيف حلاوه ورقة صوتها وعذوبته وتلك مصيبة أخرى أُضيفت لسيف.

بعد أيام يتصل سيف بوعد ليخبرها بعدم وجود درجة لتنقل عليها ويعدها بالنقل عند توفر الدرجة وتشكره محاولة إطالة الكلام معه ولا يعطيها الفرصة ويفر بسرعة.

تتصل وعد به مرتين أو ثلاثة للتهنئة برمضان ثم العيد والاطمئنان عليه بعد أن ظهرت عليه أعراض برد وارتفاع حرارة أثناء أحد الاجتماعات.

يضطر سيف تحت ستار رد المجامله بتهنئتها بعيد الأضحى وتفرح وعد جدا باتصاله وتشكره، ويطول الاتصال لثلاث ساعات، لم يشعر سيف

بمرورهم وهى تحكي له عن حياتها وطلاقها وابنها و.....

وسيف مستمتع بعذوبة صوتها وحلاوة حديثها مضيفة للنموذج الذي يحبه خفة الدم المصرية وبصعوبة يغلق الخط معها.

وإن بحثنا عن سبب الاتصال الحقيقى يوم عيد الأضحى، فبعد الذبح وتوزيع اللحم وزيارة خواته البنات ونوم الأطفال مبكرا من تعب اليوم، ظل هو وحيدا مستيقظا وقد مر عليه فترة طويلة لم يطبق القانون الهولندي مع صديقته الهولندية واضعا قناع الهيبة والوقار المصري والذي أصبح يضعه بصعوبة ويخلعه بسرعة بمجرد اختلائه بنفسه أو اتصال أحد أصدقاء الغربة به.

وما زال سيف على حالة من رعاية أطفاله في الإجازات وتلبية كل مطالبهم بالتعاون المحترم بينه وبين ليلى في تربيتهم أو تقويمهم،وكل منهم يوصي الأطفال بسماع و إطاعة أوامر الطرف الآخر.

تتصل وعد بسيف طالبة منه التدخل في خطأ في العمل وتحويلها للتحقيق ظلماً لأن المدير «عينه منها» على حد قولها وهي تصده.ويذهب سيف في اليوم التإلى ليجدها صادقة وأن الخطأ ليس منها.

وكانت فرصته ليحيل المدير للتحقيق ورد الظلم عنها، ويذهب لمكتبها طالبًا منها الاتصال في حالة حدوث أي مشكلة وينتبه لنفسه فيوجه الكلام لكل الموظفات ليتدارك خطأه .....

ومن الطبيعى اتصال وعد به لتشكره على حضوره وذوقه وشهامته

كانت تكلمه وهى خارجة من العمل ولم تره وهو يجلس في سيارته على الجهة الأخرى ليشاهدها وهي خارجة من العمل، ويسير خلفها بالسيارة وهي تحادثه، ولحسن حظها يتحرش شاب بها وهي تمشي فيوقف سيف سيارته وسط الشارع وينزل منها وينال الشاب منه علقه حتى يفرق الناس بينهماظانين أن وعدا قريبته، ويسحبها من يدها ويدخلها السيارة وهو منفعل ويعلو صوته لائمًا عليها ملابسها الضيقة المبرزة لصدرهها، وتبتسم هى ابتسامه جميلة وقد وثقت في نجاح مخططها.

ويتوجه بها لأحد الكافيهات بحجة شرب كوب ليمون لتهدأ وفي حقيقة الأمر كان هو من يحتاج الهدوء.

ويتحادثان طويلًا، وفي الطريق لبيتها تصر أن تنزل بعيدا عن بيتها خوفًا من الجيران وألسنتهم، فيلبي طلبها وتنزل، ويسير خلفها يجدها تسكن حارة ضيقة جدًا في منزل متهالك، في حي شعبي، والمجاري تغطي شوارعه فيكتشف كذبها بخصوص أمور كثيرة في حياتها وتنتبه هي لسيارته، فتتصل به وتلومه أنه كان يمشي خلفها؛ لأنه لا يصدقها أن لهم ميراث وقف لمساحة أرض كبيرة، وينتظرون الحكم في قضيتها، وستصبح مليونيرة، ويفهم سيف جيدًا بحكم عمله أن المنطقة التي ذكرتها تابعة للدولة وليست لأشخاص، ورغم ذلك لا يهتم إلا بها، ويرد عليها يطمئنها أنه يسير خلفها لحمايتها فقط.

ويعود لمنزله وجسده كله يؤلمه، وعقله متوقف تمامًا عن العمل غير متذكر أي شيء إلا رغبته فيها.

واتصال مسائي بوعد يطول لساعات تتحدث هى ويسمع هو، حتى يبدأ

في خلع قناعه تدريجياً بنكتة بسيطة ثم نكتة خبيثة ثم .... ثم محادثات ليلية يومية ثم يخبرها بحبه لها و يطلب مقابلتها، ترفض في البداية ثم توافق منوهة أنها لا تقابل أحدًا لكنها ستقابله لأنها تحبه وتثق فيه.

ورغم شكه في كل كلمة تقولها إلا أن سيفًا المرتدي قناع الهيبة قرر الزواج بها، ويقف في المرآة محدثًا نفسه: أنا دكتور مهندس سيف أتزوج وعد التي ينقصها منديل بأوية، ويشمك، ولبانة لتشبه صاحبات سي السيد في فيلم بين القصرين، لكنه منهار المقاومة وعكس ما فعل مع الهولنديات يريد تطبيق القانون المصري ويتزوجها؛ لأنه يريد علاقة كاملة، ولتذهب كل الأقنعة إلى الجحيم.

يقابلها في اليوم التالي طالبًا يدها للزواج ويفاجأ بها تشترط شقة تمليك باسمها، وشبكة غالية مثل الشبكة التي أهداها لها الثري العربي، لكن زواجهما لم يتم لأنه طلب إتمام الزواج قبل إنهاء ابنها الثانوية العامة، يحاول سيف إقناعها بشقة إيجار بصفة مؤقتة، لكنها أصرت على طلباتها وتمهله سنة لإتمام الزواج.

ورغم علمه بأن عائلتها بلطجية، من زلة لسان منها، ورغم اكتشافه أنها توقع بين زملائها وزميلاتها، إلا أن سيفًا بدأ في مشروع خاص لكي يشتري لها الشقة والأثاث الذي تريده وسيتزوجها، هي التي يريد أن يخلع كل أقنعته معها ويعيش معها حياة وروح أوروبية بلا نجل بنكهة بلدي مصرية.

أثناء أحد الاجتماعات يلاحظ اتساع فتحة صدر القميص الذى ترتديه.

ويطلب منها بعد الاجتماع رؤية بعض الأوراق، ليقبض على معصمها بيده بمجرد أن خلت الحجرة محذرًا إياها من لبس القميص مرة ثانية، ويأمرها بالذهاب للحمام وغلق الفتحة بأي طريقة، وترفض هي ويتركها وينصرف شاعرًا بنار الغيرة وكأنها زوجته، ويضع لاسمها حظرًا على التليفون. ويعيش لأسبوعين عذابًا حتى تحادثه «شات «معتذرة له.

وكنوع من المصالحة ترسل له صورًا لها عارية الكتفين وبملابس كاشفة. وتبدأ معه مرحلة غريبة لم تحدث له من قبل من تبادل صور وأفلام إباحية وممارسة من خلال التليفون، وتنهار كل مقاومته بعدها ويعمل ليل نهار، ليتمكن من إنهاء عش الزوجية.

يستمر في محادثاته التليفونية معها كالأزواج طول اليوم، وكأنهما يعيشان في بيت واحد إذا أحب أن يحكي مشكلة حدثها، إذا سمع نكتة وغالبًا ما تكون نكتة سافلة يرويها لها، وحوارات عن الحياة وأولاده وابنها، والذى تدخل سيف ليحل مشكلة له في الجامعة عن طريق أستاذ صديق له، وغلاء الأسعار .....إلخ حتى العلاقة الخاصة معًا على التليفون.

حتى يوم تحضر لجنة مفاجئة للتفتيش عليهم ويضطر للذهاب معهم دون الاتصال بها ويدخل مع اللجنة فجأة لمكتب المدير، وهي جالسة بجواره وتميل عليه تحادثه في أذنه، ويظهر عليه أثر المفاجأة ويصرخ فيهما، طالبًا منهما احترام أنفسهما في المكتب و..... ولحسن حظه يبرر الجميع تصرفه لأنه إنسان محترم ولا يقبل الانهيار الأخلاقي.

تنتهي اللجنة من التفتيش ويوقع عليها جزاءً، ويوقع هو عليه، وهو لا

بشعر برأسه ولا يده التي توقع.يعود لبيته ليخبط رأسه بالحائط المجاور للباب صارخًا أنا سيف ابن الرجل المحترم، أحب عاهرة أنا بالفعل أحبها.

يخلع ملابسه ويقف تحت الماء البارد مدة طويلة حتى يشعر ببعض الهدوء، ويخرج مبللًا، ويرقد في سريره يحادث نفسه كمن يهذي. جمالها لا يساوي شيئًا أمام جمال ليلى، هي كاذبة وليلى صادقة هي عاهرة، وليلى أشرف إنسانة لكني أحبها ولا أحب ليلى، إذا أنا عاشق للعهر بلا قناع الهيبة، أنا سي السيد المهاب نهارًا تحت أقدام العاهرات مساء.

يشعر سيف بعدم القدرة على التفكير مع نفسه بعدما اكتشف حقيقته. يفتح « الماسنجر» ليحادث أحد أصدقائه لكن كيف يحكي مشكلته التي تقطع كل أقنعة الهيبة والاحترام ويعدل عن رأيه ويقلب في صفحات « الفيس بوك» يجد منشورًا لسيدة عن خيانه الرجال، ويتذكر أكثر من منشور لها يتصف بالجرأة والشدة معًا ويدخل للحوار معها من خلال صفحة باسمه، دون وجود أي صور له أو لعائلته ويحدثها» شات».أي من خلال غرف الدردشة.

- سيف : السلام عليكم .
- السيده لاترد، فيكتب مرة ثانية:
- السلام عليكم، أريد محادثتك بخصوص المنشور باسمك.
- ترد عليه إيمان: عليكم السلام خير المنشور سيئ؟

- مش كل الرجال خاينين ،جايز الخاين يكون مضطر.
- أعرفك بنفسي دكتور سيف.
- أنت كام سنة؟
- كتير ٣٩.
- اتفضل احكي.
- والسن هيفرق في إيه.
- أنا بكلم شبح، لا أعرفك ولا أعرف شكلك صفحتك مش موضحة أي حاجة، ومش بحب أكلم حد معرفوش ، لكنك أصغر مني بكتير، علشان كدا هسمع رأيك في البوست لكن بألفاظ مهذبة لأن موضوع الخيانة ممكن تكون ألفاظه صعبة، لكن أنت دكتور في أي تخصص؟

ويحكي سيف لها عن تخصصه وأنه يحتاج أن يتحدث مع أحد لا يعرفه فهو خجلان من نفسه واكتشافه لحقيقته ومشكلته مع زوجته، ثم مع وعد وهي مشاكل لا يستطيع أن يحكيها لصديق رجل، فمن غير الممكن فضح زوجته أمام رجل، ولا يفضح نفسه بالحكي عن حبه لوعد.

- تحب تبدأ بأي مشكلة.
- وعد ، أنت تتكلمي بلغة الطبيب النفسي ليه؟
- صدقني مش قصدي ، وفي نفس الوقت عندي فضول اعرف حكايتك، وإيه اللي تاعبك . فيه حاجة بتشدني أعرف قصتك.
- أنت كام سنة؟
- إيمان : ٥٠
- سيف: هتفهميني.

- إيمان: هحاول.

يحكي سيف قصته مع وعد كلها واكتشافه لنفسه.

- إيمان: أنت مش متحمل مواجهتك لنفسك بحقيقتك ليه؟ حبك للجرأة والإثارة في وعد مش عيب فيك، لكن المشكلة في استمرار حبك، والخطيئة معاها وأنت بتشك في أخلاقها لازم نتأكد الأول وبعدين نقرر، تتجوزها ولاتبعد عنها.

لا يرد سيف وبعد ساعتين يرسل نداء لإيمان وبعدها بقليل ترد عليه.

- إيمان : عملت إيه؟

- سيف: اتصلت بصديق لي طلبت منه يكلم وعد «شات»ويغريها إنه يعمل بالخليج ويبحث عن زوجة مصرية، تخيلي اتكلمت معاه بسرعة غريبة بنفس القصص اللي كانت بتحكيهالي وحواراتها عن زميلاتها وغيرتهن ومديرها اللي هو أنا، إني بحبها وهي بتكرهني تخيلي ال..... تقول عني أنا إني برخم عليها لأجبرها على الزواج مني. فطلبت كلمة الدخول لموقعه وكلمتها على أني الرجل الخليجي وشوفت شتيمتها فيا بعيني وبتحكي كل الحكايات مقلوبة... هتجنن.

- مش بتفكر ترجع لمراتك.

- لا لا متنفعش هى سبب في اللي أنا فيه، من فضلك عاوز انتهي من مشكلة وعد الأول،اعمل إيه بحبها) وبصوت أقرب للبكاء(عاوزها مش قادر.

- بعد كل اللي عرفته!

- بحبها.

- أنا متأكدة إنها رغبة مش أكثر ، لا حب ولا غيرة.

كانت إيمان تتحدث عن كون الموضوع مجرد رغبة لكنها متأكدة أنه يحبها .

- آسفة لو قلت لك (هتطلعك قرون) معقولة هتكمل مشروع جوازك.

- مستحيل لكني عاوز أنتقم منها، هلاعبها أسبوعين، وبعدها اكشف لها نفسي ، وتعرف الفرق بيني وبينها، وأعرفها مقامها بنت ال....

- غلط طول ما أنت بتلاعبها طول ما أنت تعبان، لو تسمع لي اعمل حظر لصفحتها على موقع صديقك وهترجع لك فورا، ووقتها متردش عليها كام يوم وبعدين حظر تاني لاسمها من صفحتك، وفي الاجتماع الجاي تعاملها كأنك مش شايفها، ياريت تأجل الاجتماع لغاية ما تكون ثورتك عليها هديت .والثأر الحقيقى لو حست وعد إن إهمالك لها حقيقي من داخلك وغير مصطنع.

- موافق وهنفذ صدقيني لكن ساعديني، أنا أفضل بعد ما اتكلمت معاكي.

- ياريت تقدر، أنا عارفة إنه صعب جدًا، لكني أظن شخصيتك قادرة على تنفيذ اتفاقنا، كافح نفسك وما تكلمهاش، اختار اللي تصونك.

- اكتشفت إني محتاج عاهرة محترمة، عاهرة معايا أتعامل معاها بلا قناع، محترمة مع باقي الناس،مفيش اللي تحمل الصفتين.

- موجودة أكيد، بدليل إن الإسلام أمر المرأة بالتحرر بل والإثارة والرقص وخلافه لزوجها، والاحترام خارج البيت، والإسلام لا يأمر بشيء غير موجود في الحياة، وبدليل أن العهر داخلك ومع الناس أنت محترم. صح؟

- فعلًا.

- كما أنت موجود في الحياة معنا كذلك النساء.

- زوجتي كانت محترمة.، محترمة في كل شيء، محترمة زيادة عن اللزوم خارج

وداخل البيت، ووعد العكس تمامًا ، لا توجد امرأة بالصفتين معًا، أتجوز اتنين؟

– مع الأسف أنت من الحالات القليلة التي أؤيد التعدد فيها، دا إذا رجعت لزوجتك أُم أولادك.

– لا، مش هرجع مهما حصل.

– ولو أتجوزت عليها، هتطلب الطلاق؟

– ولا حاجة هتعيط شوية وتسكت، وبعدها تخضع.

– أنا أفضل إنك ترجع ليها وأتكلم معها بصراحة مطلقة في اللي نفسك فيه وحاول تطورها ، اخلع القناع وعلمها، اذا مانفعش التعليم معاها، إتجوز اللى توافق بوجد ليلى وأولادك في حياتك. صدقنى ألمها إذا اتزوجت عليها وتكون في حياتها، أقل من ألمها إذا اتجوزت غيرها، ومرجعتهاش لعصمتك.

– المهم أخلص قلبي من وعد، أنا مريض بها هي زي السرطان.

– الحمد لله نسبة الشفاء من السرطان أصبحت ممتازة.

في اليوم التالي يستطيع سيف السيطرة على نفسه، ويحضر الاجتماع بدون أن يتأثر بسحر وعد، قد أصبح كارهًا لخيانتها، واستغلالها لاحتياجه وعشقها للمال والسيطرة عليه باسم الحب، ويحادث إيمان ليحكي ما حدث مع وعد.

– جميل إنك ملُمتهاش والأجمل لو ملومتهاش أبدًا ، هي هتفهم إنها مرفوضة منك ومن صديقك، أحسن من معرفتها إنكم شخص واحد.

– إن شاء الله.

– والنفسية أخبارها إيه؟

– في الأرض طبعًا.

- مشاكلك مع مراتك كانت على إيه؟
- سلبية، صمت، برود في كل حاجة ولا أي اهتمام بيا، الأولاد وبس.
- اتعرفت عليها من النادي؟

حكى سيف قصته مع زوجته كاملة بدون ذكر فترة هولندا.

ويفاجأ سيف بسؤال إيمان عن حياته في هولندا ، ويرتبك سيف في البداية فتشعر إيمان بأنه غير راضٍ عن حياته هناك، فتطلب منه أن يحكي قصته من مولده وحتى الآن وتطمئنه أنها لا تعرفه ولا تعرف شكله لكنها تريد معرفة أسباب تعثرة عاطفيًا، لكنها تريد سماعها. بصوته فيستجيب سيف ويحكي قصته كاملة حتى وقت تحدثه معها.

- سيف: إيه رأي الأستاذة؟

- تضحك إيمان: رأيي بصراحة إن مشكلتك ككل الشرق الأوسط، تبدأ من طريقة تربيتك وحرص الأم ودفعها لك لتلبس شخصية الأب الوقور المهاب وأنا متأكدة إنه، مرجعش مرة من السفر يوميًا فاحتضن أمك وقبلها زيكم، أو إنه هزر مرة واحدة معاها قدامكم الهزار العادي طبعًا وهي برضو طبعًا، بالإضافة إنها ما بتلبسش إلا جلباب البيت قدامكم وكمان إخواتك البنات الكبار مع جوازهم، كلهم شاربين النشا وقاعدين في توابيتهم.وأنت متعود على الطاعة مقتنع تمامًا بأسرتك وطريقتها في التفكير ومفيش خبرات نسائية في شبابك، ومفهمتش نفسك أو مصارحتش نفسك بحقيقة إنك مختلف عنهم فأخترت مراتك بمواصفاتهم، وبعد الجواز بدأت تتفهم طبيعتك واللي محتاجه، لكنك خفت تقلع القناع وتعلم مراتك وتفهمها، كل الرجال بيحسبوا إنهم فاهمين كل حاجة وهم مش فاهمين زوجاتهم، ولا حتى نفسهم ولا اللي عاوزينه وحتى لو

فهموا بيكون الفهم متأخر، ومش بيعترفوا بيه خايفين من ضياع الهيبة أو إن يعيب المجتمع أو الزوجة) اللي لابسة قناع ايضا عليهم اللي طالبوا به والحقيقة إن اللي بيعيبوا عليهم هم كمان بيعانوا فيا إما يقعوا في المعصية والكبائر، ويخلعوا القناع مع الساقطات أو يكبتوا رغباتهم ويمرضوا نفسيًا وبدنيًا.

وتكمل إيمان بينما سيف صامت تمامًا

– ما تحتقرش نفسك لإنك عشقت عاهرة، أنت مخطئ طبعًا استغفر الله كثيرًا، وارجع لنقطة البداية وعدِّل مسارك مع ما تهواه نفسك طبقًا لشرع الله المجوز المحترمة اللي يبان عليها الظُرف والشقاوة اللطيفة وبتهزر مع أخواتها. أو صاحبتها ، صاحبة الرأي والشخصية القوية ، المشكلة إن الرجالة بيخافوا البنت القوية بيتجنبوا الجواز من الضحوكة، وبالتالي نربي بناتنا داخل نفس التوابيت التي بنعيش فيها وبيشهد ليهم الكل بحسن الخلق ويطلبهم عريس زيك،والمشكلة الأكبر لو تفاعلت الزوجة مع زوجها من بداية الزواج، فورًا يشك الراجل المصري فيها والعكس زي ما حصل معاك،بمجتمع مفاهيمه خاطئة غبية حتى إننا مش بنتبع تعاليم الدين اللي مغفلش عن أي حاجة ولا حتى العلاقات الخاصة الزوجية.لو أبوك بيهزر مع أمك أو يحضنها في مرضها أو حزنها قدامكم، كنت عرفت إزاي تختار وكنت عرفت إن صمتها الشديد وعدم اعتراضها على أي قرار ليك مش طبيعي، واخترت من تحصنك وتعفك، كنت هتبقى سعيد ومرتاح نفسيًا ومش تغلط وتطبق القانون الهولندي في المكتب والعربية بدليل رفضك لعلاقه كاملة، والرفض دا وإن كان علشان تريح ضميرك بأنك بعيد عن الزنا إنما يؤكد وجود درجة من خشية الله رغم إنه درجة من درجات الزنا و الرفض ما

هو إلا لعبة من نفسك لتقنعها إنك مش بتزني.هناك خلعت القناع اللي لبسوه أهلك ليك وصقف ليك المجتمع عليه ولما رجعت كنت اتعودت إنك مش لابسه طول الوقت زي ما كنت قبل السفر، فلجأت لنوع تاني أو درجة تانية في طريق الزنا في الخفاء، ومرة تانية تلعب نفسك عليك وعاوز تتجوز واحدة مترضاش عن سلوكها علشان ترضي شهوتك اللي اعتادت التفاعل من الطرف الآخر في هولندا، ووقعت في الخطأ لمحاولة إرضاء كل الأطراف، يعني زواج على سنة الله ورسوله علشان ترضي ربك ومجتمعك وقناعك اللى لابسه وعاهرة ترضي نفسك، غمضت عينيك عن مظهرها وودانك عن كذبها ومرضت لانكشاف حقيقتها وحقيقة مشاعرك ونفسك مقدرتش تلعب عليك مرة ثالثة. الخلاصة إنك لازم تعترف بحقيقة نفسك وهي حقيقة متعيبكش، أنت إنسان مختلف عن اللي حولك، ومتسمحش بتربية أولادك بنفس الطريقة لأن أمهم بتربيهم من داخل تابوتها لازم أولادك يتعودوا على رؤية أمهم بقمصان نوم ملونة زاهية جميلة ومقصدش بيها (بيبي دول) أو عارية إنما مكشوفة بقدر مناسب فهي أمهم، وهيعملوا اللي بيشوفوه منكم لازم حوارات ضاحكة بينك وبين أمهم قدامهم.

- سيف: عاوز نصيحة واقعية.

- إيمان: قلت لك رجع مراتك.

- سيف: بعد تفكير طويل امبارح اتصلت بها. تخيلي إنها رحبت باتصالي جدًا، وما زالت زي ما هي طيبة حنونة مشوفتش إنسانة في تسامحها أو أخلاقها واحترامها

- إيمان: وأم عظيمة، باقي الزوجة اللي على مزاجك لو تقدر تحولها لصديقة زوجة أو زوجة صديقة يا سلام هتبقى أسعد إنسان ، وجهها لطبيبة علاقات زوجية.

- سيف: لا محصلش في عيلتنا حاجة زي كدا.
- إيمان: تاني نمشي على مسار عائلاتنا رغم تأكدنا بفشل مساراتهم، تاني.
- سيف: صدقيني هي مش هتوافق أبدا وتعيط وتعتبرها إهانة.
- إيمان: هات ليها كتب علمية خاصة بموضوعنا
- يضحك سيف: أنا لا أجرؤ أساسًا، كتب وأفلام، ليلى مراتي مش صاحبتي!
- إيمان: ااااه هنا غلطك الكبير، أولًا كنت بتكلم عن كتب علمية لا عن مجلات أو أفلام إباحية وإن كنت قبلت إنك تتفرج مع وعد إنما مع مراتك لأ...يييياه..... على أفكارك متخلفة وإن كنت أرى حرمة الأفلام والمجلات لكنها متقلش حرمة عن اللي عملته في هولاندا أو مع وعد لكن الفرق إنها هتحافظ على البيت من الخراب وتشتت أولادكم، لو اعتبرت مراتك صاحبتك إيه إيه اللي هيحصل! وتكمل إيمان: ولازم تعترف إنك ساهمت في تكملة صمتها وقلة تفاعلها، أنت لابس القناع معاها، وبتعاملها من داخل نفس التابوت اللي بتشكي منه وتخلع القناع مع صاحبتك مع ان الدين خلل خلعه مع الزوجه وحرم خلعه مع صاحبتك ،(شيزوفرينيا) بيعاني منها الشرق كله الخوف المجتمع، أكثر من الخوف من الله ـ عز وجل ـ، فكر كويس لو كنت اشتريت ليها الكتب من زمان كنت عشت حياة أحلى، لو كنت خلعت قناعك معاها، مكنتش عمرك اشتكيت، أنت كمان غلطان أكثر لإنك تعرف وهي متعرفش.

اطلب مقابلة مراتك وكلمها بصراحة متناهية، كأنك بتكلم وعد أو أي صديقة هولندية وهتشوف الفرق.

- سيف: أوعدك. هنفذ ولو منفعش؟
- إيمان: هات الكتب ولما تنتهي حيلك من غير فايدة، أتجوز أفضل من

الغلط بشرط متطلقهاش إلا إذا طلبت وأصرت.

- سيف: اتفقنا.

يطلب سيف مقابلة ليلى للاتفاق على العودة فتستجيب فورًا بلا سؤال والدها أو تردد، وتخبره وصوتها يخبر بفرحة أذهلت سيف أنها ما زالت تحبه وتتمنى العودة والحياة معه.

يظل سيف مذهولا حتى وهو يحكي لإيمان من كلامها وفرحتها، فرحًا لفرح أطفاله وصراخهم من فرط المفاجأة لعودة أمهم. وتدمع عينا سيف وهو يخبرها أنه لم يكن يتصور أن أطفاله فرحين برجوع أمهم لهذه الدرجة. في الموعد المحدد يشتري سيف باقة ورد كبيرة جميلة ويخفيها في السيارة ويشتري دبلة جديدة وهدية قيمة ، ويقدمها لها وتكون فرحتها أكثر مما كان سيف يتوقع، وكذلك الأولاد.

يتحدث معها كما وعد إيمان وعندما يطالبها بالتغيير في ملابسها يفاجأ سيف أنها لم تكن تشتري ملابس حتى توفر له المال اللازم لتحقيق حلم الدكتوراة، ثم اعتادت ملابسها كعادة الكثير من المصريات، يوفرن المال لأولادهن وأزواجهن ناسيات أنفسهن ويعود ذلك بالخراب عليهن.

والأغرب موافقة الأب بلا شروط لتأمين ابنته من الطلاق كما حدث من قبل، والأكثر دعوة العائلة للعشاء في حفل بسيط فرحًا بالعودة في اليوم التالي مباشرة، وتستأذنهم ليلى وتتركهم لتجهيز حقائبها لا تنتظر لليوم التالي.

- إيمان: حظك نار عيلة أصيلة غريبة على وقتنا الحاضر.

– سيف: كنت راجل حقاني وعطيتها حقوقها كاملة ومضايقتهاش في أي حاجة ولا رفضت طلب لأولادي طول مدة الطلاق.

– يكفي التلكيك الواضح للطلاق مبرر ليؤدبك بيه، عمومًا ألف مبروك، ومتنساش هدية جميلة ليها.

– يضحك سيف: اشتريتلها قمصان نوم جميلة .

تضحك إيمان:

– قمصان النوم هديتك لنفسك، أنا بطالب بهدية ليها، كرمها كما يجب وتداوي جرحها قدام نفسها وعيلتها.

يتصل سيف بإيمان بعد كتب الكتاب ليطمئنها، وتسأله عن ليلى ليبلغها بعدم رضا أنها بالداخل مع أمها لا يعرف ماذا تفعل.

– متغضبش وكمل الخطة ألف مبروك، وشوف ولادك وفرحتهم هتنسى غضبك.

يمر أسبوع وتتصل إيمان للإطمئنان، يرد سيف وسط أصوات لعب الأطفال،رغم أنها حادثت سيفًا كثيرًا أثناء وجودهم إلا أن أصواتهم كانت خفيضة، تختلف تمامًا عما تسمعه الآن من أصوات عادية لأطفال يلعبون وينادون أمهم لتحضير الغذاء.

– إ ما شاء الله الولاد صوتهم واضح.

– فعلًا مكنتش أتصور إن بُعدى عن أمهم مأ ثر فيهم، ورغم إن مكنش في مشاكل بينا،أختلفوا كتير بعد رجعت امهم.

– وأم الولاد .

– أم الولاد أختلفت شوية واهتمت بيا لتلات أيام، وبعدها رجعت للي كانت عليه، الاهتمام بالأطفال بس.

– استمر بس وهتنجح.

– المشكلة اكتشافي إني مقدرش أتجوز واحدة تانية غير مراتي، الولاد هيحزنوا تاني.

– استمر وهنشوف وإن متغيرتش بعد فترة كافية، اتجوز إن مقدرتش على الاكتفاء بيها، المهم متغلطش تاني.

يمر أسبوعان ويتصل سيف لإخبار إيمان بنجاح مشروعه الذى بدأه ليشتري شقة وعد ، وأنه لم ينجح إلا هذه الأيام وكيف أنه مشغول جدًا وقد شاهد وعد في زيارة مكتبها الشهري ولم يحدث له أي تأثر ولا حتى الكراهية، لم يشعر بأي شيء بعد أن كانت تقلب كيانه كله.

– ومشاعر سيف تجاه ليلى.

– انسي، أنا بعزها وأودها وكفاية إنها أم أولادي المحترمة. أما مشاعري هموتها وأرتاح من معاناتي، أنا عندي طاقة حب ومشاعر رهيبة ومش لاقي ليها مكان والحل إني أقتلها وأولادي يبقوا في حضن أمهم.

– خايفة متقدرش تستمر.

– ربنا يستر ، ما انتبهتش لنفسي وفرحت جدًا بالضحك مع زميلة انهاردا ، هي آنسة جميلة ولسه متجوزتش.

– احذر الخطأ وانتبه متكسرش قلبها، إذا حبتك هيكون خطأ مزدوج وعذاب ضمير.

– هحط دماغي في الشغل.

– اشتري ليها قميص نوم جديد.

– أنا اشتريت فعلًا.

– اشتري تاني ، فكرها باتفاقكم.

بعد عشرة أيام تتصل إيمان ليصلها صوت سيف فرحًا سعيدًا يبشرها بنجاح كبير لمشروعه، والأهم مفاجأة كبيرة.

– فرحني بالمفاجأة.

– أخيرًا اعترضت ليلى على أجزاء في المشروع. أول مرة تعترض على قرار والأكتر إنها اقترحت أفكار مش قادر أصدق لحد دلوقتي، ليلى تقترح علشان تنجح المشروع، وابني حاسس إنه راجل واقف جنبي مش طفل.

– أروع من رائع، صوتك واضح ؟ اشرحلي.

– بصراحة أعتبرتها صديقة حكيت معاها عن المشروع كله بتفاصيله ، وكتبت لها ورقة بالمدفوع والمقبوض علشان تكمل مشروع أولادي إذا حصلي مكروه، فتجاوبت معايا واتحملت المسؤولية معايا، وبقت تتابع المشروع معايا يوم بيوم وبقت ألطف من قبل.

– والمشاعر؟

– معرفش دلوقتي، بس حاسس إني بحبها بالفعل وبحب الكلام معاها

وبحب أرجع للبيت علشان أحكي أحداث اليوم.

– استمر وان شاء الله هتحقق اللي نفسك فيه من حب ومشاعر.

– يارب يستمروا ادعوا لهم.

تمت

سور الغباء العظيم

هاي... أنا حواء .....اسمي حواء

بعتبر حالتي مثال لكتير من بنات أمنا حواء.

عمري خمسة وتلاتين سنة، أم لولد في أولى ابتدائي وبنت في تمهيدي

جوزى راجل ممل .... آه والله ملل.....هو دكتور شاطر ....يا سلام على خلقه وتعامله في العيادة مع المرضى..بلسم... كل الناس بتحلف بحياته ومع أهله ...الله على الحنية والاهتمام

بصراحة هو كان كويس معايا قوي لغاية ما حملت في ابني، والغريب إن أهله اتضايقوا قوي لماعرفوا بالحمل (كان عندهم أمل إننا نتطلق) ومن هنا بدأت المشاكل وراحت الحنية وضاع الحب ضاع.

بدأ جوزي بناء سور غباؤه العظيم بالتدريج، أظن إنه اعتمد على إنه ضمن وجودي في حياته خلاص، ومش هقدر اعترض بعد ما بقيت حامل. يعني بيشتغل في المستشفى الصبح، ويرجع أفتح الباب ألاقية مكشر تكشيرة أبو لهب في فيلم فجر الإسلام ليه بقى مكشر؟ الإجابة أي سبب اتخانق مع المدير، الدنيا حر، زهقان، متخانق مع أهله، أي سبب ،يتغدى وهو ساكت وينام ، يصحى مكشر برضو ويلبس وينزل العيادة ، ويرجع من العيادة مكشر أكتر وعصبي ويتخانق مع أي حد حتى الأولاد ..آه والله.. بيتخانق مع الولاد على أتفه الأمور، وكأنهم رجالة كبار بيحدفهم باللي تطوله إيده، ولو حبينا نتكلم معاه في أي موضوع الصبح، يتضايق بتكلموني على الصبح ليه؟ لما آجي الضهر. ولما يجي الضهر يتضايق عكننتوا عليا أنام إزاي دلوقتي حرام عليكم، عندى شغل أكل عيش وأرواح ناس. وبالليل بتكلموني بالليل عشان أنام وتيجيلي جلطة ويبدأ في الصراخ، ويوصل الموضوع للطم على وشه أو شق هدومه زي ما بتعمل أمه، لمجرد النقاش معاه في أي موضوع. طبعاً مش مصدقين ؟ مسيركم تصدقوني

لكن لو أهله اتصلوا الفجر صحونا من النوم، اتخانقوا معانا عادي حتى لو إخواته الصغيرين ممكن يعكننوا علينا وهو مينطقش بكلمة.

نكمل حكايتنا..

إذا تكرم وخرج معانا في العيد أو بعد إلحاح شهر من الولاد، يقعد معانا وعينيه الناحية التانية وكأنه مش عاوز يشوفنا، ولو سألته مالك الإجابة ملان زهقان متضايق ....أسأله ليه؟ الإجابة من كل حاجة، اسأله تاني إيه بالظبط احكي يمكن نقدر نحلها مع بعض ...يحكي نفس المشاكل واللي سببها أهله وطاعته العمياء ليهم واستنزاف فلوسه وهو عارف ومش بيرفض ، يعني مشاكله من نفسه وعدم قدرته على اتخاذ قرار وتنفيذه.

– أنا : أنت مسؤول عن أبوك وأمك بس ـ ورغم إن أبوه عنده معاش ـ لكن عادي واجب عليك.

لكن الصيف كله إخواته البنات وعيالهم كل مصاريفهم كل وشرب وعلاج لو احتاج الأمر، وكسوة الصيف والشتا والمدرسة وهما راجعين بلدهم، بالإضافة للفسح والمصيف وعزومات للأهل على حسابه ، وواجب عليه حج أو عمرة كل سنة وأحيانا حج وعمرة في نفس السنة للأب والأم، ويرجعوا محملين بالهدايا والدهب السعودي لبناتهم وبنات بناتهم ويشتروا النحلة اللي بتلف لابني واتنين كيلو تفاح لينا، تخيلوا مرة استغفلني وأخد مني غوايش باعهم على إنه يدفع مقدم شالية، ويتضح إنه دفعها لعمرة جديدة لأمه، رغم إنها عملت أربع خمس عمرات وحج.

وتتحول الخروجة لمندبة والمطلوب أندب معاه، وبعدين نسكت إنما رأي مخالف أو حتى اقتراح حل، يزعق وسط الناس ويفرجهم علينا.

ويجري ويسيبنا أنا والولاد، ومينساش رزع الباب لو كنا في مكان مقفول، ولما يروق بعد يوم أو اتنين ممكن أسبوع، يرجع يتكلم من غير مصالحة أو حتى اعتذار والمطلوب نسامحه وممنوع نلومه، وإلا تبقى خناقة

تانية أكبر وبصوت أعلى. وأكون أنا النكدية الشريرة اللي ممررة عيشته ومش عاوزاه يصرف على أهله مع إن مصاريفهم قليلة !!

والنتيجة مسألوش عن اللي بيه، وأسيبه لتكشيرته يكلم نفسه ...بيكلم نفسه بجد مش ببالغ، أما لو حاولت أتكلم في أي موضوع أو أحكي قصة قريتها ميردش عليا ، ولما أسأله مبتردش ليه ؟ تخيلوا ميردش برضو، ولو رد أسوأ فيا إما يسفه كلامي أو دمي تقيل أو مملة ....المهم يحرق دمي وخلاص.

ومن الطبيعي إني أوصل للخرس الزوجي واكتئاب بعد ما كنت بحب الضحك، بقيت ساكتة، بضحك بصعوبة ، ولا بحب أكون موجودة معاه في مكان واحد.

لإنه ببساطة ممكن يسفه كلامي قدام الناس أو يكذبني في موضوع هو ميعرفش أساسًا ، حتى وبخني مرة وأنا بتكلم واتهمني بالهزار في موضوع مينفعش الهزار فيه، وبعد ما كان الكل بيضحك توقفت الابتسامة على شفايفهم وانسحبوا من الخجل واحد ورا التاني.

- سألته ليه؟

- ليجيبني: دمك تقيل وهم كانوا متضايقين منك.

- أنا: كانوا بيضحكوا يبقى دمي تقيل ؟!

- البيه: بينافقوكي.

- أنا: ينافقوني وهما أصحابك أنت ، وحتى لو نفاق هيبتسموا مش هيضحكوا.

سألت صديقاتي وأعدت الحوارات مع نفسي والنتيجة: لأ دمي مش تقيل، بالعكس ناس كتير بيقولوا إنهم بيحبوا الكلام معايا. راقبت الجالسين معنا بدقة إذا كان ضحكهم نفاق النتيجة. لا

طبعًا هتقولوا: هو ليه بيعمل كدا معاكي؟ جايز أنت مضايقاه في حاجة؟ أجاوبكم إني سألت نفسي السؤال دا مية مرة ملقيتش حاجة ،

- فسألته :ليه؟

- البيه: كلامك دمه تقيل وبتهزري وأنا متضايق.

- أنا: أنا بهزر بحاول أضحكك وأخفف عنك، دا غير إنك متضايق على طول، كدا هموت حرام أنا ذنبي إيه؟

- البيه: أنا مهموم أنا بيتي هيتخرب من مصاريفهم وخناقاتهم.

- أنا : بيتك هيتخرب من مصاريفهم هما، أنا ذنبي إيه؟ قلتلي مية مرة هعترض على المصاريف، ولا بتعمل أي حاجة وخناقتهم هما أنا مالي، وفي الآخر بتهزر معاهم وتعاملهم حلو.

- يصرخ البيه: إيييه أهلي عاوزاني أعاملهم وحش ليه ؟ ومهما حصل الرسول ـعليه الصلاة والسلامـ قال: «أنت ومالك لأبيك» ، وخناقاتهم معايا بسببك.

- أنا : أنت ومالك لأبيك مش لإخواتك واجوازهم وولادهم، وأنا مقلتش متصرفش أنت اللي بتشتكي، والخناقات بسببي ليه؟! أنت عارف إني مش بعملهم حاجة، هم مش بيحبوني أنا وولادي، وأنت اللي قلتلي علشان فلوسك كلها كانت ليهم ، أنا مالي؟

وعنها راح قال لأهله إني بقوله متصرفش عليهم، ورجع قالي على الشتيمة اللي شمتوها فيا !!واتضايق مني لما رفضت عزومة على الغداء عندهم، بذمتكم أروح إزاي وهم بيشتموني؟ وهو اللي قال وساعات أسمعهم بودني !!

كنت بقرأ عن أزواج بيعتبروا زوجاتهم ملكهم زي أي كرسي في البيت، وكنت بتعجب وبعدها أكتشفت إني بقيت كرسي ويمكن أقل

بس كرسي دمه تقيل. وانتهى احتمالي بعد تريقته عليا قدام صحابه على إني تخنت بعد الولادة، مع إنه أتخن مني وليه كرش أكبر مني، وممكن أرد عليه وأكسفه وهو لا حمل ولا ولادة قيصرى، لكنى مبحبش الطريقة دي، المعايرة قدام الناس وبعتبره شغل حواري وعاتبته كتير، لإني بتكسف. يزعل ويزعق إنه ميقصدش واني بحب النكد ...ماشي لكن من فضلك متتكلمش كدا تاني..... ولا كأني قلت حاجة وقال تاني وتالت وعاشر وكل مرة ميقصدش ويزعل .....خدوا بالكوا هو اللي بيزعل ويتخانق.

خلاص بقى عاوزة أربي العيال، وأديني عايشة وخلاص، ركنت جوزي على جنب مبتكلمش معاه واحنا لوحدنا وبحرص إني ما اتكلمش خالص لو قاعدين مع ناس، وبدأت أحاول صنع مجتمع مع بعض الصديقات بعيد عنه. نفسح ولادنا ونخرج وكمان بدأنا نلعب رياضة مع بعض، لأن ما شاء الله أزواجهم زي البيه جوزي باختلافات بسيطة. وبقى بينا سور بيعلى كل يوم عن اللي قبله أنا والولاد في جهة وهو في الجهة التانية ، منطلبش منه الخروج معانا أو يصيف معانا. العكس بنفرح في عدم وجوده، لأننا ببساطة بنكون في أمان من ثوراته المفاجئة ومنعرفش لها سبب أو هتقوم أمتى؟! وبقينا مش بنطلب منه غير الفلوس بس.

ونتيجة طبيعية للرياضة ومن الهم وسدة النفس، خسيت ورجعت تاني رشيقة زي ما كنت. وبعدها اتغير جوزي وبقى يسأل رايحين فين؟ ومع مين؟ ويجيلنا فجأة ، وكمان بقى يحاول يتكلم معايا وأنا نسيت الكلام معاه.

ووسط ما بحاول أرجع تاني أتكلم معاه إن ضايقتني واحدة من معارفه

بقلة ذوق وتجاهل، ولما حكيتله اتهمني إني غيرانة منها.....أنا ..أنا غيرانة وليه أغير؟! أنا واثقة في نفسي ومفيش مجال بيني وبينها للغيرة.

وفي نفس الأسبوع غازلني واحد من أصحابه غزل واضح...بهدلته طبعًا ولما بلغت زوجى العزيز.....حذروا قال إيه؟ قال: إنتي فاكرة نفسك إيه ملكة جمال ...إنتي ولا حاجة ..هيعاكسك ليه ؟ وبدأ يشتم..... أيوه.... شتمني بالأب والأم..... أنا أتشتمت يا جدعان، حواء بتتشتم .

وسورغباؤه عِلي قوي وكل ما الغباء يزيد السور يعلى أكتر وأكتشف إن جوزى حبيبي بيشتكى مني للرايح والجاي، إني مش كويسة ونكدية وإنه مش طايقني وإن.... وإن.....انهرت طبعًا وطلبت الطلاق ورفض..... رجعت بيت أهلي بولادي، لغاية ما يتم الطلاق؛ لأن السور اللي اتبنى بغبائه بقى عالي قوي قوي، منع عني الشمس والهوا.

يومين لقيت صاحبتي بتتصل وتقولي إن صاحب جوزي حبيبي بيجيب في سيرتي وهي ردت عليه وبهدلته، وهي مش عارفة هو بيقول كدا ليه؟!

طبعًا أنا عرفت كلامه منين وليه؟ قررت بالتعاون مع إبليس، إني اتصل بالدكتور المؤدب اللي اتطوع وبيتكلم عني بدل جوزي ....ايوه فيه ناس تحب تعمل خيييير.نسيت أقول: الدكتور دا حافظ قرآن، ومنقب مراته، وعامل فيها شيخ.

اتصلت بالشيخ آسفة قصدي الدكتور:

– آلو ازيك يا دكتور.

– الدكتور ولا كأنه قال حاجة في غيابي : أهلًا أهلًا، إزيك يا مدام؟

– أنا : الحمد لله ، دكتور سمعت إنك بتتكلم في حقي؛ وأنا متصلة أقول لك حسبي الله ونعم الوكيل ، بتجيب سيرتي مع الناس ليه ؟

– الدكتور : يا رب يكرمك ، بلاش حسبنه ، أنا آسف بس بلاش حسبنه جوزك بيشتكي جامد ، يعني هيكذب؟

– أنا: آه يكذب ميكذبش ليه نبي؟

– الدكتور: معرفش.

– أنا : ولما متعرفش بتتكلم ليه، مش حرام؟

– الدكتور: آسف ،سامحيني، أعمل إيه تسامحيني بيه؟

– أنا: أسامحك؟ أبدًا..... إلا إذا ..يعني لو تقدر تقنعه بالطلاق.

– الدكتور : لا طلاق لا، أدخل في الصلح.

– أنا: مفيش صلح أنا هتطلق ، بدل المحاكم كلمه أنت.

– الدكتور بخبث: إن كنت مصرة خلاص أكلمه ، لكن مش هنشوفك وحشتينا.

– اااااه إيه يابت يا حواء (وحشتينا دي)؟ حسيت بحاجة غلط في كلامه، لكن مرضيتش أزعل إبليس، ممكن يكتئب فيها، إذا مكملتش الخطة ، قلت أكمل الخطة.

– أنا(بدلع) : ميرسي يا دكتورنا، طبعًا هتشوفني ومعايا هدية كبيرة لو اقنعته.

– الدكتور: لا هدية إيه ، هديتي إنك تنوريني في العياده أطمن عليكي.

– أنا : اتفقنا منتظرة ردك.

تاني يوم عرفت من سكرتيرة البيه جوزي، إن الدكتور زاره حسب الاتفاق.وإبليس فرح قوي قوي لما جوزي كان هيضربه، وطرده من العياده قدام الناس واتهمه إنه..... و..... شتيمة وحشة مقدرش أقولها وأنا كمان فرحت قوي واتصلت بالدكتور:

– آلو.

– الدكتور: أهلًا يا مدام ، الله يكون في عونك ، فعلًا تعرف فلان اه، عاشرته لأ، تبقى متعرفوش ، جوزك دا فظيع ، دا بهدلني وطردني تخيلي، طردني وفرج المرضى عليا.

– أنا: آسفة يا دكتور على اللي حصل صدقتني، أنا مظلومة.

– الدكتور: آه والله ، فعلًا ، ويهون الطرد عشان خاطرك، عاوز أشوفك نتفق هتعملي إيه، هتيجي أمتى؟

– أنا: هههههاي يا دكتور عليك واحد ، يارب تكون اتعلمت الدرس زى ما هعلم كل اللي بيجيبوا في سيرة خلق الله ، وأعملكم صف وأنت الأول.

– أقف في الصف يا دكتور!!!

وقفلت السكة، براقو عليا صح، بعدها تم الطلاق بخلع الضرس وعلى الإبراء والتنازل ، مش مهم أي حاجة المهم إني متجننش.

طبعًا مرمطة وقلة أدب وكلام ، كلام كتير وأنا ولا هنا، واللي يتكلم عني أو يضايقني، أتبع معاه نظرية سيخ الكباب (دي نظرية من اختراعي) إني أشوي اللي يضايقني في السيخ على الفحم ولو مقدرتش أسويه ، يبقى مضطرة إني أدعي عليه ودي أسوأ من الشوي.

طبعًا عاوزين تعرفوا أخبار طليقي حبيبي، هقولكم:البيه بسرعة اتجوز واحدة من اللي ساعدوه في الكلام عني والشوشرة عليا، واتلم..... على..... المهم اتجوزوا ، والله ما زعلت ولا همني، العكس كنت فرحانة جدًا، لا يفل الحديد إلا الحديد.أقل من أسبوع وكان يبسخف كلامها ويتريق عليها قدام الناس ، دا عادي بالنسبة له ، الجديد بقى إنها ردت عليه، قام هو رد عليها من الآخر شتموا بعض..... هههاي آه والله شتموا بعض بالأب والأمهات كلها ، الأهم إنهم اتصالحوا في نفس القعده واتغدوا سوا!وبقى عادي جدًا كل شوية يشتمها وتشتمه ويتصالحوا، والناس تضحك عليهم عادي. طبعًا تسألوني بيتخانقوا ليه ؟ أنا مستنية السؤال دا بيتخانقوا لإنه بيذلها بأكلي الحلو وأكلها وحش ، وإني كنت بهتم بيه وهي لأ وإني..... وهي..... و.....و.....المهم اطلقوا بعد سنتين تلاتة .... عادي دا متوقع، وطبعًا شكوى وبهدلة وضربوا بعض ، مش بهزر ضربوا بعض بجد، وكلاااام كتير وخلاص.طبعًا أبقى كدابة لو قلت مش شمتانة، لا والله أبدًا، أنا شمتانه جدًا جدًا لكن الغريب بقى إنه حاليًا مبيتكلمش عليها خالص ولا بيشتكى منها (أبسليوتلى) بيشتكي مني أنا؛ إني رميته وهو بيحبني.... آه.... مستغربين مش كدا؟ليه ..... بيقول كدا ؟ أنا كمان استغربت في الأول بعد ما قال إنه كان بيعاملني أحسن معاملة وإن قلبي قاسي ، ونفسه يرجعلي.... يييييياه .....الحمد لله حقي جالي لغاية عندي ، وبقول لكل بنت حواء حقك هيجيلك هيجيلك. استني وإنتي متأكدة.

توقيع/ حواء بنت حواء

ثورة عبدَة

بفتح الدال

في زمن ما قبل الموبايل وأغاني المهرجانات والقنوات الفضائية ، كانت طفولة مي مختلفة تمامًا عن طفولة الفيس بوك والإنترنت.

كان الأطفال يطيعون وينفذون أوامر الأهل، ولا يسمح لهم بالاعتراض، وكبقية الأطفال نشأت مي مطيعه ذكية متفوقه جميلة.

ونتيجه لاعتناء الاب والأم بالمذاكرة والحفظ استطاعت مي قراءة الجرائد اليومية بلغة سليمة في الصف الثاني الابتدائي وكانت المدرسة تسند لها القراءة والتقديم في الإذاعة المدرسية وكانت الحياة بالنسبة لمي بيت الأب وبيت الجدة والمدرسة والخروج للتمشية قليلًا في الإجازات، وبرامج الأطفال في التليفزيون الذى يبث إرساله من الخامسه مساءً للعاشرة، ولا يمتد للثانية عشر إلا في الأعياد وأكثر من ذلك ليلة شم النسيم؛ ليذيع حفلة

العندليب عبد الحليم حافظ.

لكن ما كان يخلق المشاكل ويضايق الأم جدًا والأب قليلًا أن مي (غلباوية ولمضة) تعترض وتناقش وتتدخل في مناقشات الكبار مبدية رأيها وسط الكبار.

الوحيد الذي كان يفرح بمناقشاتها ويشجعها لإبداء رأيها هو خالها الطالب في كلية الهندسة وإن كان الأب قد اهتم بالدراسة وقراءة الجرائد والمجلات الجادة كروز اليوسف وآخر ساعة، واهتمت الأم بمجلات سمير وميكي وبعدها قصص المكتبة الخضراء، والمغامرون الخمسة والشياطين الـ١٣ وبعدها رجل المستحيل ، اهتم الخال بتعليمها الشطرنج والرسم وحب الرياضيات ومشاهدة الأفلام الأجنبية.

وسكوت الأب على مضض لتعليم الخال لمي أمورًا لا لزوم لها، وخصوصًا الأفلام الأجنبية.أما الخالة فقد علمتها الصلاة والمواظبة عليها وخشية الله، حتى في أبسط الأمور وبأسلوب لين جميل لا شدة فيه.

ومع وصول مي للعاشرة من عمرها ومع طول قامتها لدرجة أن من يراها يحسبها في الرابعة عشر، تشتد معاملة الأب والأم وكأن الحنان لمن هم أقصر منها ويزداد الأمر بعد ظهور ملامح الأنوثة المبكرة عليها، وكأن الأب أصيب بصدمة من تغيرها المفاجئ ويعلن الأحكام بتغيير ملبسها من ملابس طفولية لملابس طويلة عن المعتاد وموديلات يلبسها من هن أكبر منها بسنوات وطبعًا، منع لبس البنطلونات نهائيًا لتشعر مي عند نظرها للمرآه وكأنها مسخ رأس طفلة على جسم وملابس امرأة.

ومُنعت من ركوب المراجيح والتي كانت وسيلة الترفيه الوحيدة للأطفال وقتها، والغضب منها إذا لعبت بالعرائس كإخوتها ، وتكشيرة الأب وشدته في التعامل معها والرد عليها بغلظة لاعتراضها على الملابس التي لا ترتديها من هن في سنها. ووصف الأب لها بأنها مختلفة عن مثيلاتها فهي «عجلة» ـأي جاموسة صغيرةـ بلا أدنى اهتمام من الأب بنفسيتها أو ما تعانيه من في ظروفها، وعدم تقبلها لشكلها أو تغيراتها المفاجئة لها ، ولم تستطع مي تفسير تعامل الأب بهذه الطريقة إلا أنه لا يحبها كباقي إخوتها، ولتتبعه الأم في منهجه بتحميل مي المسؤولية من أعمال المنزل أو رعاية إخوتها الذين يضحكون من تريقة الأب عليها أو خناق الأم لها وبالتالي فهى مسؤولة عنهم بلا أمر من الأبوين بتنفيذ أوامرها، ويخرج الأب والأم للعمل وتبقى مي مع إخوتها الصغار وخناقات يومية مع الأم إذا لم تنفذ العمل المطلوب أو إذا قست على إخوتها إذا لم يسمعوا كلامها وأرادوا النزول لشراء حلوى أو خلافه مخالفين أوامر الأب فإذا تركتهم عوقبت لأنها المسئولة وإذا منعتهم عايروها كما يعايرها الأب بطولها فتعاقبهم وهكذا حياة قاسية مع أبوين لا معنى عندهم لنفسية طفلة في حجم امرأة.

ويُنشئ الأبوان جبهتين جبهة للأبوين والأخوات، وجبهة لمي تجلس فيها وحيدة باكية دائمًا منطوية بعيدة عن حضن الأبوين؛ فالأحضان للصغار فقط وهي كبيرة ، ولا تناقش فالنقاش للكبار فقط وهي صغيرة.

وتصاب مي باضطرابات النوم والمعدة كأمر طبيعي لمن في ظروفها. وتحتال طوال تلك المدة على آلامها وحزنها بالقراءة.

كانت مي لا تحب الحديث مع الأب إلا في الأراء السياسية والنقد للأحوال المجتمعية ، مستمتعة بحواره عن التاريخ وآرائه التي لا تخطئ في الأمور المحيطة، فما يتوقعه اليوم تقرأه في اليوم التالي في الجرائد ، بالإضافة لجلسات الصلح والتي يأخذ الجميع فيها برأي الأب، واحترام كل المحيطين له ولآرائه ولشخصه الوقور.

وكان الأب يحب العزلة وعدم الاختلاط.لا يزور أحد وبالتالي بدأ المعارف والجيران لا يزورونهم ، لا في أعياد ولا زيارة مريض ولا غيره.

وأصبحت مي لا تتعامل مع أحد خارج إطار الأسرة. أما الخالات والأعمام كل سنة في إجازة قصيرة، فلم تكتسب الحنكة في التعامل مع المجتمع وخبرتها بنفوس البشر صفر.

ونتيجة لعدم وجود مشاعر ود أو حب بين الأب والأم عكس ما تقرأه بالقصص ، اعتبرت مي أن الأب والأم هم الواقع وأن الزواج ما هو إلا جفاف وقسوة وملل وما القصص إلا خيالات المؤلف أو الكاتب.

عزمت مي على ألا تكرر حياة والديها، مقررة ألا تتزوج من يزيد حياتها جفافاً ، وفي نفس الوقت لا تجرؤ على الحلم بالحب فهو غير موجود في دنياها وإن وجد فهو لغيرها ، أما هي فلن يحبها أحد لأنها غير محبوبة، فالاب كلما يقوى ظهر ابنته من الممكن أن يكسرها دون أن يدري، فكثيراً ما ردد الأب على مسامعها ألا تصدق أحداً في كلمة حب ولم يحبها ؟! وهناك الأفضل والأجمل منها دائماً، إنما هو إما طامع في مال الأب أو طامع في علاقة آثمة، وتوافقه الأم على كلامه مؤكدة بحكايات ودلائل ، كل هذا

يجتمع في كلمة واحدة هي الخوف،

خوف لدرجة الهلع من ذئاب البشر على مي جعلاها تفقد الشعور بنفسها كفتاة جميلة مرغوب فيها ، ضيعا ثقتها في جمالها وجاذبيتها في حين قوّا ثقتها في عقلها وثقافتها.

مرت سنوات الدراسة حتى وصلت مي للجامعة، والأبِ والأم يلبيان طلبات مي وإخوتها المادية كطعام أو دراسة وملابس ـ تبعًا لرؤية وذوق الأب والأم ـ وبلا إيه مساندة نفسية أو مراعاة لتغيّر هرموني.

فوجئت مي أول يوم في دار الطالبات، ببكاء معظم الزميلات لفراق أهلهن، ومن لا تبكي صامتة حزينة، إلا هي فرحة مستبشرة بحياة هادئة بعيدًا عن مشكلات الأب والأم وخطوة لبناء شخصية أقوى معتمدة على نفسها، والخروج من قوقعة الأب والحياة بلا صداقات أو بشر يزيلون إحساسها بالوحدة، ستعيش وتصنع سعادتها إن لم تجدها، وإن كانت سعادة مي على قدر فكرها الطفولي المتأخر في النمو لقلة التعاملات كان في التجول في الشوارع مع الصديقات وشراء الملابس التي تحبها وتقتنع بها والضحك والسهر في البلكونة ولعب الكوتشينة وحكاوي الزميلات الجدد، هذا ما كانت تحلم به عكس بنات كثيرات يحلمن بالحب من زميل أو خطبة أو .....

كانت مي دائمًا تشعر أن داخلها مي أُخرى أكثر قوة وحزم بل وقسوة أحيانا ، ولم تدرك مي الطيبة أن مي الأُخرى ما هى إلا عقلها الباطن ولا تدري مدى تحكمه وسيطرته على قراراتها القوية الصارمة بعد طول صبر

وتأفي منها.

كانت إذا حدث لها أمر شديد يصعب عليها استيعابه أو صدمة يتوقف عقلها عن التفكير تمامًا في الموقف لساعات أو يوم أو أكثر حسب صعوبة الموقف ، وتصحو من نومها أو غفوة قصيرة متخذة قرارًا واجب التنفيذ في الحدث الذي ألمّ بها.

في البداية كانت تحاول مناقشة ما اتخذته من قرارات وهي نائمة ودائما تكون الغلبة لمي القوية (عقلها الباطن) ، ومع الوقت وثقت في قراراتها وأصبحت تنفذ بلا تفكير، وكلما عظم الحدث كلما كانت تنفذ القرارات بكل دقة وحزم أشد ، وإذا تقاعست مي الطيبة في منتصف طريق تنفيذ القرارات لحنية قلبها أو طيبتها وجاءت النتائج غير مرضية لحقها عقلها الباطن بقرارات أقسى وأشد، وهذه المرة تنفذها مي بعنف حتى لا يصدق من يعرف مي جيدًا أنها هذا الشخص القاسي.

ورغم ضيق مي من معامله أبيها لها ولأمها ، إلا أنه كان مثال الرجل المحترم في حياتها ، ولا تدري أنها لشدة اقتناعها بعقلانيته وأرائه التي لا تخطئ أبدًا نشأ في ذهنها صورة لزوج المستقبل الذى لا بد وأن يكبرها في السن، ببدلة وكرافتة وحذاء لامع و. قرارات صائبة، مع اشتراط الحنو، ورقة المشاعر. أي صورة مطورة للأب وقد عالجت عيوبه من جفاف مشاعر، وهو العيب الوحيد المتسبب في كل ما يضايقها منه ، وبالتالي كان كل الشباب» عيال» من وجهة نظرها لا تعيرهم أي انتباه أو تعاملهم على أنهم رجال أساسًا، وثبت وجهة نظرها فيهم مما سمعته من

الزميلات القدامي في دار الطالبات عن زميلة أحرقت نفسها بعدما خدعها زميلها باسم الحب في علاقة آثمة ثم تخلى عنها لتحرق نفسها آخر يوم في الامتحانات بعدما عرفت بخطبته لأخرى وخوفها من عائلتها ، فكان ذلك درسًا قاسيًا لمي لتكره من يجرؤ على مصارحتها بالحب أو حتى التقرب منها ، ويثبت ذلك صحه كلام الأب عن الشباب (الصايع) وترتفع القناعة بما يقوله الأب.

بعد مرور سنتين كانت مي قد اختلفت فكريًا بنسبة بسيطة عما دخلت الجامعة لكن باختلاف كبير في شكل ملابسها الذى أصبح يرضيها ، وقد حققت شبه السعادة التي تريدها فقد أصبح لها صديقات في دار الطالبات وأصدقاء من زملاء الجامعة الشباب والذين تعرفت إليهم بالصدفة. وكانت حيثيات قبولهم كأصدقاء لها أنهم جميعًا مرتبطون عاطفيًا، بالإضافة لمواقف الشهامة منهم في إحدى الرحلات ، ورغم نظرتها لهم كمحترمين، لم تفكر في نقض نظرية الأب التي زرعها عقلها ببساطة لأن أحدهم لو يصارحها بإعجاب أو حب فيصبح «صايع» بلا أخلاق يريد العبث معها لأنها ليست جميلة أو مرغوب فيها كما تعتقد.

أما أصدقائها الشباب فقد اكتشفوا فيها طيبة وشفافية غريبة، فخافوا عليها، فأحاطوها برعايتهم في رحلاتهم أو تعاملات الكلية فكانوا إعاقة أخرى لها من التعامل مع العالم المحيط، لكنها سعيدة بهم وكفي.

في العام الثالث الجامعي يتقدم قريب لأبيها لخطبة مي ،يفرح الأب بالعريس فهو ممتاز ماديًا وبالنسبة لأخلاقه من الطبيعي ولا جدال

إنها على أحسن ما يكون، لأنه ببساطة من عائلته الريفية العريقة ولا بشر يساويهم بعائلته إلا من تنطبق عليهم مواصفات العائلة المحترمة من وجهة نظر الأب ومن خارجهم (صيع).

أقنع الأب مي بقبول العريس فهو عالي الخلق سيصونها، وغيره سيهينها، وعلى وعد من الأب إن لم تتفاهم معه يفسخ الخطبة.

وافقت مي على العريس مقتنعه بكلام الأب الذي لا يخطئ في الحكم على الأمور. وصور لها العريس نفسه على إنه الشخصية التي تريدها بالضبط، فهو يشجعها على العمل بعد الزواج وسيعلمها قياده السيارة حتى تستطيع الذهاب لعملها بلا تعب و.... و..... كل ما كانت تتمناه مي في زوج المستقبل، ولم تفكر للحظة أنه يكذب ولم يكذب؟ قد قال الأب أنه محترم ،وأيضًا لم تشك لثانية أنه قد عرف عنها كل ما يريد معرفته من أبناء عمهم المشتركين ليصور لها أن أحلامها تحققت.

تمت الخطبة بسرعة لشبكة كانت حديث العائلة ، بعد فترة قصيرة قضتها مي فرحة بتعامل الخطيب الحنون الطيب معها ، وبعد الخطبة بأيام كان له وضع آخر.

تغيّر كمال في تعامله مع مي مئة وثمانون درجة، فظهرت حقيقته الجافة الناظرة للمرأة نظرة متدنية، فعاملها بإهمال شديد يصل إلى تعمّد تجاهلها وإحراجها أمام العائلة ،وهي لا تفهم سبب لتغيره.

- ليه متغير؟

- أنا كدا، مش متغير.

- لا كنت غير كدا.

- اتعودي على كدا.

- أتعود على إهمالك ولا تجاهلك، توعدني بالحضور للغداء وأجهز الأكل، وأستنيتك وتطنش ليه؟

- اتعودي، دي طريقتي.

- بتكرهني كدا خلاص سيبني ، افسخ الخطوبة لكن متعاملنيش كدا.

- أولًا مش كارهك، وهكرهك ليه؟ لكن لازم تتعودى على طريقتي. ثانيًا الخطوبة عندنا زي الجواز مفيش حاجة اسمها فسخ خطوبة ، فيه إيه إنتي غير البنات؟! أخواتي زيك متعلمات ومعتادات على كل ذلك. اعتادى زيهم وخدي الأمور ببساطة وبلاش علو أنفك دا.

- مش هتعود .

- براحتك إنتي اللي هتتعبي.

تخلع مي الدبلة وتعطيها لوالدها تطالبه بتنفيذ وعده بفسخ الخطبة ،لكن الأب يفاجئها، بأن والده ووالدته قد حضرا خصيصًا لها واعتذرا ولا يجب أن نردهم.

- لكن ما اعتذرش ومش معترف بغلطته أساسًا.

- وعدني عمي أبو كمال بأنه يكلمه في الموضوع، صدقيني لو فسخنا الخطوبة هتقعي في إيد اللي يظلمك.

- هو بيظلمني، إيه الفرق؟

- لاااا كمال ليه عيلة وأب نشكيه ليهم، لكن أي صايع أهله زيه.

- متخافيش هيتغير صدقيني.

وتصدق مي وتلبس دبلتها وتعود المياه لمجاريها بلا اعتذار منه، ولكن بفسحه جميلة وهدايا، أقنعها الأب أنها طريقته في الاعتذار.

وليعود بعد أسبوع لنفس الطريقة الجافة المتجاهلة المهينة لأية فتاة.

وتعاود مي محاولات فهمه والتقرب منه.

- ليه خطبتني؟!

- عجبتيني.

- ولما عاجبك ليه المعاملة الوحشة؟

- قلت هي دي طريقتي.

- طريقتك تكسر نفسيتي، ليه مادام عاجباك؟

- إنتي عاجباني ،دماغك مش عاجباني دماغك هي اللي عاوزه الكسر، واثقة قوي في نفسك وأبوكي سايبك تتكلمي راسك براس أي راجل.

- أنا بتكلم بأدب.

- متتكلميش خالص وأنا قاعد.

- ليه؟ إزاي؟

- من غير ليه ولا إزاي، نفذي كلامي وخلاص.

- دي طريقة راجل متخلف ، أنت غير كدا وإلا مكنتش وافقت على شغلي بعد الجواز.

- لا دا في الأول بس لا شغل ولا.غيره. إنتي صدقتي.

- أنت وعدتني.

يضحك كمال من سذاجتها: كل الناس بتوعد وخصوصًا اللي خاطبين، وبعدين ينسوا وهي كمان بتنسى. هيكون عندك ولاد وأنا، شغل إيه؟ انسي.

- لأ طبعًا مقدرش أعيش كدا ، دا كان شرط.

- وأنا مش موافق (ويشير لرأسه) دماغي مش فايقالك؛ أنا عندى أشغال أهم من الهبل اللي بتقوليه... ـ ويكمل ـ أقولك قولي لأبوكي إنك رافضة.

- هافسخ الخطوبة.

- ماشي بلغي عمي بقرارك (ويضحك ويتركها، واثقًا فيما سيحدث)

تخبر مي والدها بما حدث:

- مش هاتجوزه.

- ليه علشان الشغل والبهدله! إنتي عاوزه واحد يشغلك وياخد مرتبك. الراجل مش عاوز يتعبك ولا عاوزه واحد صايع مستني فلوسك!لاا ، وأقول للناس فسخت الخطوبه ليه علشان ملاليم هتقبضيها، العيلة تقول عليا إيه؟

- أنت وعدتني.

- ا لسبب قوي مش هبل ، ولا أسيبك لواحد صايع يمرمطك ، أنا أبوكى وأفهم أكتر منك. الناس وحشة وكمال أضل من غيره بكتيير.إنتي متعرفيش الدنيا فيها بلاوي ، بيبهدلوا ستاتهم، كمال عمره ما يبهدلك.

وتنفذ مي كلام الأب وتستمر في الخطبة حزينة لما تراه في زميلاتها المخطوبات من رونق ووجه مشرق وابتسامة مضيئة وحكايات عن خطابهن وحبهم لهن. لا تحسدهن ولكن تتمنى أن تكون سعيدة حالمة مثلهن ، لكنها تخاف مما حذرها منه والدها مرارًا وتكرارًا ، والدها ذو العقلية التي لا

تخطئ ولا تتحدث عن هراء ، ورغم ما وجدته من خطأ في رؤيته لشخصية كمال إلا إنها لا تفكر أساسًا في أنه مخطئ كلا وحاشا، فهي تعامل أوامر أبيها وكأنها كتاب إلهي منزَّل من عند إلاه صنعته بيدها ، وثن وهي له عابدة صالحة مطيعة ، ولا تفكر أبدًا في كسر صنمها، والعيش بلا عبوديته.

وصلت مي للسنة الرابعة في الكلية وقد تغيرت كليًا عن مي الطيبة التي التحقت بالجامعة من ثلاث سنوات ،وإن زادت ثقتها في نفسها رغم محاولات كمال لكسرها، وزادت أيضًا ثقتها في رأي وثنها، أن الحب ليس من نصيبها ومن يتقدم لخطبتها طامعًا في مال أبيها لا أكثر ولا أقل وصارت جملة (يعني هيحبها على إيه) وكأنها إيه من الكتاب المُنزَّل من وثنها والذي أنهى به أي نقاش في هذا الأمر لغير صالحها، تبكي كثيرًا متعجبة لحالها لم لا يحبني أحدٌ؟! أنا أجمل من كثيرات. لم لا يرون جمالي وجمال روحي؟

لاحظت صديقتها أن أحد الزملاء يميل إليها.

- علي بيحبك.

- أنا ومحبني على إيه؟! وكمان دا عيل ما أعرفلوش عيلة.

- تضحك يمنى: كلنا من عيلة مش لُقطاء.

- آسفه قصدي هو.

- ماهو زبي، وبعدين كل ما نتكلم تقولي يحبني على إيه؟ بيبصوا لي على إيه؟ إنتي مش شايفة نفسك.

- مالي؟

- إنتي جميلة جدًا.

- أنا؟ بجد؟

- إنتي عبيطة ولا بتستعبطي، إنتي فعلًا جميلة وروحك أجمل.

ولأول مرة تتجرأ مي وتحكي عن ضيقها من وثنها لكن بتحفظ واحترام له، وعن خطيبها وحزنها على حالها؛ أنها لم ولن يحبها أحد.

- ليه بقى إن شاء الله؟ عينك في قفاكي ولا إيه.

- من غير تريقة ، كلامهم صح مفيش حد حبني.

- كتير بيحبوكي ، إنتي مش شايفاهم أساسًا ، وثنيتك عمت عينيكي عنهم. تحبي أعدّ لك كم شاب بيحبك وكم معجب.

- قلت لك كلهم مش بيحبوني ، هم بيرسموا بس على فلوس بابا، أنا حظي واضح عندي ميراث من سوء الحظ العاطفي.

تعلم مي بالصدفة أن خطيبها قد شرب خمر ودخن المخدرات في فرح قريب لهما ، لتسأله مي ويؤكد كمال لها ذلك مؤكدًا أنه شيء عادي (تفاريج) كل الناس كدا.

تحتج مي وتخبر والدها مصممه على فسخ الخطبة، متوقعة أن أباها سيصدم ويوافقها على ما تريده ، فوالدها لا يدخن حتى سيجارة عادية ولا حتى يشرب القهوة ،وتصدم مي صدمة قوية تزلزل كيانها.

- مينفعش أفسخ الخطوبة بسبب كدا.

- يعنى إيه؟ طول عمرك تشتم اللي بيدخن الحشيش أو يشرب خمر.

- الأب: نعم لكن مفيش حد هيقتنع بفسخ خطوبة للسبب دا، شرب في فرح مرة مش مشكلة. هيقولوا بيشرب من ماله.

زلزال قوي ضرب دنيا مي فأطاح بأصنامها فتكسرت لمائه قطعة ، لم تحاول مي لملمتها. وكالعادة توقف عقل مي لآخر اليوم غير مصدقة موافقة أبيها على تصرفات كمال، ولو كانت هذه التصرفات من شخص آخر لوصفه بالصايع.

تعود مي لكليتها مختلفة في التعامل مع كمال، الذي لاحظ لخبرته تغيّر مي من بدايته، فهي ترد عليه ببرود، لا تعاتبه إن صدر منه ما يثق أنه سوف يضايقها ، يحتار كمال ويتعجب لها ،فيحكي لصديق على شاكلته: مي متغيرة جداً

- كويس تبقى اتعودت.

- لا مش موضوع تعود، زى ما تكون ميتة مفيهاش روح، صدقني لو واحدة غير مي كنت شكيت فيها، لكن مي ما تخونش ولا تعرف تخون.

- كويس، متضايق من إيه بقى؟

- إنى مش فاهم وكمان بقيت حاسس إنها بعيدة قوي.

- أنت كنت عاوز كدا.

- لا أنا متضايق ، كنت عاوزها مطيعة؛ متقرفنيش وتعترض، لكن مش باردة كدا.

يضحك الصديق شامتًا:

- تصدق شكلك وقعت وبتحبها.

- لا يا راجل ، بس متهملنيش كدا، دي مش مفكرة فيا خالص ولا بيهمها أتصل بيها أو لا أو أزورها .... لا فيه حاجة.

- خليها تغير ، هم الحريم كدا، يغيروا يبقوا هيموتوا عليك وزي الفل معاك.

- تغير؟ ودي هتغير من مين؟

- أي واحدة ، المهم ست تانية.

*****

يسافر كمال لزياره مى محملا بالهدايا في دار الطالبات ويأخذها لأفخم مطعم ومحلات. ومي كما هي لا تتحدث عيناها جامدتان لا لمعة بهما، كالماضي أكدت له أنها قد بدأت تفلت من يده ، ضاعت منه مي التي أعجب بها، ويبدو أنه يحبها ولكنه يتكبر على الاعتراف بذلك، هو لا يريد تلك الدمية، ويتعجب سائلاً نفسه أهو أحبها بروحها الثائرة ، لكنه لا يحب المرأة الثائرة المعترضة ،إذًا لماذا هو متضايق؟ قد أصبحت كما يريد ولم يصل لإجابة ، فقرر بخبرته في عالم النساء تنفيذ خطة صديقه ونسى أن من عرفهم من نساء هم من نوعية معينة، تختلف تمامًا عن مي وبنات الناس المحترمين ذوي الفكر.

فمن عرفهن إما نساء منحرفات أو بنات أسرته المطيعات غير معترضات..

- كمال: مي عاوز أعترف لك بموضوع عشان أريح ضميري.

مي بلا اهتمام:

- إيه تاني شربت خمرة في فرح تاني، مش مهم.

كمال متصنعًا الجدية والندم:

- آسف بجد أنا.....

تتعجب مي وتنتبه فلأول مرة تسمع كلمة آسف منه.

يكمل كمال:

- أنا قابلت واحده كنت أعرفها زمان ، واحدة يعني..... من....ما كنتش أقصد بس غصب عني؛ إنتي بتهمليني من مدة ولا بتعيريني.

تسكت مي لثوانٍ ثم تسأله:

- واحدة إيه ؟ وعملت إيه؟

- كمال: يعني كنا يعني، إنتي فاهمة بس مش هعمل كدا تاني طول ما إنتي مهتمة بيا ، الموضوع في إيدك ، وهتوب طول ما إنتي مهتمة بيا وسامعه كلامي.

ترد مي بسرعة:

- خنتني وإحنا مخطوبين لإني عاملتك بمعاملتك؟ طيب لو اتجوزنا هتعمل إيه؟

- كمال : لا ما إنتي عرفتي أنا ضعيف أي معاملة وحشة منك، بنهار قصاد الحنية من أي واحدة ، وولاد عمك كلهم عارفين عني كدا، وشافوني معاها.

لم يستوعب عقل مي كلام كمال وخصوصًا آخر كلامه، أن هناك من رآها معه ،ولكن هناك عقل آخر قد استوعب الحقيقة جيدًا وفسرها ونظمها ووضع لها طريقة الرد وخطة فسخ الخطبة ، أما مي فقد صمتت تمامًا حتى تركته على باب دار الطالبات بلا سلام.

أما كمال فقد فسر سكوتها، أنه غضب طبيعي وأنها سوف تعود كما يريد وستنجح خطته، مقررًا تركها لعدة أيام قبل أن يتصل حتى تهدأ.

تدخل مي حجرتها وكأن شيئا لم يحدث، توزع الحلوى والهدايا التي أحضرها على صديقاتها وتتركهم يفتحون حقائب الهدايا مندهشين لكميتها، وتنام.

تستيقظ مي في اليوم التالي لا تفكر في شيء على الاطلاق وما زال عقلها متوقفًا، فمفاجأة كمال الجديدة من النوع الثقيل.

تدخل الكافيتريا تجد أصدقاءها يأخذون صورًا للذكرى، وتشاهد المصور وهو يلتقط صورة جانبية قد تظهر فيها ملاصقة لزميل لها بحكم زاوية الالتقاط، فتقترب جانبا أكثر.

في اليوم التالي وقد بدأ عقلها في الاستيعاب، وقد ظهرت الصورة، والزميل يعتذر عن الصورة إنه لم يقصدها ويريد تقطيعها، فترفض وتأخذها وتطلب منه أن يحضر لها الفيلم (النيجاتيف) فيحضره لها.

وتستمر مي في خطة هي لا تعلم خطواتها فقط تنفذ ما يطرأ على بالها حين تستيقظ من نومها ، وتعزم كمال على رحلة مع كليتها، فيبتهج كمال متصورا

نجاح خطته ويذهب لها غير ناسيًا للهدايا.

ويفاجأ بتعمد مي لإهماله وتركه وحده، واللعب ونط الحبل مع الزملاء. ليعترض كمال:

- بتعملي إيه؟ إنتي عازماني عشان تسيبيني وتلعبي مع العيال دي!

- مي: إحنا مش عيال أنت نسيت إني قدهم ، وقلت لك تعال ألعب، أنت رفضت مش هضيع الرحلة عشانك.

- كمال: إنتي اتجننتي؟

- مي: اتعود على كدا، أنا مجنونة والحمد لله إنك عرفت قبل ما نتجوز.

وتتعمد مي الهزار المبالغ فيه مع الزملاء، وسط دهشتهم فهم غير معتادين على ذلك منها..وغضب كمال الشديد.

يعود كمال من الرحلة مستشيطا لا يطيق نفسه ، ويتصل بها بعد ميعاد إغلاق بوابة الدار، لتعنيفها على ما فعلته في الرحلة، ليجد المشرفة ترد عليه بأن مي تبيت خارج الدار، ويهرب كل دم كمال من رأسه وقبل أن يسألها أين تبيت تكون المشرفة قد أغلقت الخط.

تضحك مي مع المشرفة والتي عينتها القوى العاملة حديثًا في الدار، ولأنها آنسة فكانت المشرفات المتزوجات يطلبن منها المبيت مكانهن.

ولأنها لطيفة وتكبر مي بسنوات بسيطة، فقد نشأت صداقة بينهن.فرحين بحرقة دم كمال كما اتفقا بعدما حكت للمشرفة ما فعله. وبينما هما يضحكان تتصل أم مي للاطمئنان على مي بعدما أخبرها كمال أنها تبيت خارج المدينة

فترد مي على أمها بأن كمال شخص غير طبيعي يود الإساءة لها فقط ، ولتتصل الأم بعد ذلك لتعنف كمال على افترائه على بنتها.

يعاود كمال الاتصال فتؤكد له المشرفة ـ ومي تجلس بجانبها ـ أنها تبيت خارج المدينة وألا يزعجها ثانية، والأفضل له أن يبحث أين تبيت خطيبته وتنهي المكالمة بضحكة ذات معنى، وتصفق مي للمشرفة وتحتضنها وتقبلها.

بينما أصبح كمال متأكدًا من مبيت مي خارج الدار، وأن أمها تداري عليها ولم ينم في ليلته بل يقضيها وهو جالس في البرد يدخن سجائره للصباح. في اليوم التالي يسافر لها وتفاجأ مي به أمامها، ويسحبها من ذراعها وسط زملائها وسط دهشتهم.

- كنتي فين امبارح.
- معاك في الرحلة.
- مش عاوز استهبال ، بعد الرحلة بالليل.
- نايمة كنت تعبانة خالص.
- نايمة فين؟
- في الدار.
- أنا اتصلت والمشرفة أكدت إنك بايته بره ـ ويعلو صوته ـ كنتي عند مين؟
- مي تصطنع الخوف منه: بصراحة بيّت عند واحدة صاحبتي؛ كسلت أرجع الدار كنت تعبانة.
- ميحصلش تاني ، مين صاحبتك دى؟ اسمها إيه؟

تذكر له مي اسمًا غير حقيقي ، ويوصلها كمال للدار أمرًا إياها بعدم الخروج أبدا من الدار إلا للجامعة، ويعود للكلية ويسأل عن اسم الزميلة الذى ذكرته له مي ويفاجأ بعدم وجود اسمها بالكلية.

يعود كمال لبيته وقد توقف عقله لأول مرة ويتصل ثانيةً بالدار، بعد ميعاد غلق الدار، لترد علية المشرفة لثالث مره أن مي تبيت خارج الدار وبطريقة توحي له بأنها غير راضية عن سلوك مي.

يكاد كمال أن يطول السماء، لم يشعر بمثل هذا الاختناق من قبل وإحساس مهين بالعار والخداع كيف وهو العارف، تخدعه ويتصور أنها ساذجة بريئة، متسائلا إن ذلك انتقام الله منه ومع الفجر بدأ رحلته ثانية ذاهبًا لمي.

يبحث كمال عن مي فيجدها تلعب تنس طاولة مع زميل لها في كافيتريا الكلية ، يناديها، فتذهب له وتطلب منه الانتظار حتى تنتهي من اللعب ، ينظر لها نظرة نارية بعينيه الحمراوتين من قلة النوم والغضب، ويجذبها من ذراعها بشدة أكثر من الأمس فتذهب معه ليحشرها بالسيارة ويسير بسرعة شديدة، بعيدًا عن بوابة الكلية.

يجلسها في مكان هادئ راقي ونظراته لها وكأنها من نار.

كمال محاولا التحدث بصوت منخفض: من غير كدب كنتي فين؟ وإياكي تقولي عند صاحبت،ك أنا سألت مفيش الاسم دا في الكلية.

– كنتي فين انطقي؟ عند مين؟

لا ترد مي وتصطنع فتح شنطتها لإخراج منديل لتقع الصورة الجانبية التي التقطت وكأنها لا تنتبه لها ، تحاول التقاطها بسرعة وارتباك، فينتبه كمال ويجذب الصورة من يدها، ويصعق لرؤيتها.

ويشير كمال لزميلها في الصورة:

– هو دا ؟ هو دا اللي استغفلتيني عشانه، وأنا كنت فاكرك محترمة، بترسمي البراءة عليا أن. ، أنا يتضحك علي. من عيلة زيك طلعتي.....

تدور الدنيا بكمال وتلفه لفًا سريعًا ، يمسك بالمنضدة التي يجلس إليها وكأنه سيقع عن كرسيه. كيف سيواجه العائلة ومجتمعه؟ ماذا سيخبرهم عن سبب فسخ الخطبة؟ يخبرهم أنها استغفلته وهو يستغفل الجميع ، أتكون نهايه كبريائه على يد هذه الغبية؟ ومن سيصدق؟! .. لن يصدقه أحد سيعتقدون أنه يريد إنهاء الخطبة ويفتري عليها فَ مي فوق الشبهات ولن يصدق أحد ، وحتى لو صدقوا سيعلم الجميع ويسهرون الليل يتسامرون بقصة من أضاعت كرامته وشرفه وجعلته فرجة البلد.

تنظر له مي شامتة وهو ينظر في الفراغ والعرق يتصبب منه وكأن روحه ستتركه وتصعد.

– أنا آسفة. قالتها مي وماتت رعبًا من نظرته وعينيه، وكأن الدم سيتدفق منهما لكنها أكملت : سامحني أنت السبب بتعاملني أسوأ معاملة وبتهملني ولا بتحبني .... أعمل إيه وأنا محتاجة للحب؟!... أنا سامحتك قبل كدا.. سامحني أنت المرة دي .. ونبقى خالصين.

ضغط على يدها بعد كلمتها الأخيرة، حتى كادت تصرخ منها، وهو ينزع الدبلة من إصبعها ويأخذها في يده.

- كمال: دبلة عليها اسمي متبقاش في إيد واحدة زيك ، إنتي بتراديهالي؟..... إنتي ؟.... أنا هقتلك لو أبوكي ما قتلكيش.

تخلص مي يدها منه بصعوبة وتلملم كتبها وتمشي بهدوء غريب، وكأن ما يحدث لا يخصها وكأنه فيلم أو مسلسل تشاهده وهي جالسة في هدوء.

يلحق كمال بها ويمسكها من ذراعها ويدخلها السيارة رغمًا عنها، ويجلس مكانه وهو ينهج.

- كمال: حنروح لأبوكي مش هترجعي للدار.
- مي بهدوء غريب مبالغ فيه: ليه؟
- كمال: أبوكي يشوف هيعمل إيه معاكي وإلا أنا هتصرف معاكي.
- مي مستمرة في الهدوء: مش هيصدقك ولا أي حد هيصدقك.
- كمال: هبلغ العيلة كلها.
- مي: وأنا معاك نقول للعيلة إني خنتك وضحكت عليك و....

يخبط كمال على عجلة القيادة بقوة وهستيرية، ويستدير لمي. تفزع مي من نظرة عينه وتنزل مسرعة من السيارة وتجري للجهة الأخرى، وتشير لتاكسي وتقذف بنفسها داخله وقد قتلها الخوف منه، يشعر السائق بخوفها فيسير مسرعًا.

- السائق: فيه حاجة يا آنسة؟

- مي: آه كان بيعاكسني.

- السائق: مش هيقدر يقرب لك متخافيش.

تلاحظ أن سيارة كمال تمشي خلف التاكسي، فتصرخ في السائق الذى يقف ويسحب مفتاح كبير من عده المفاتيح اسفل كرسيه وينزل لكمال ـ وهو يصرخ ـ ويجمع الناس ويهم الجميع بضربه، فينظر لمي بدموع متحجرة في عينيه ويعود لسيارته ململًا بقايا كرامته .

تبتسم مي وتتنهد ،

- تنظر من الزجاج الخلفي لترى دموعه قد انفك تحجرها، وسالت من عينيه وقد لف ليسير في الاتجاه العكسى.

تسحب مي نفسًا عميقًا وتعتدل في جلستها شاكرة السائق شهامته داعية لبناته بأبناء الحلال.

- السائق : الله يكرمك إحنا عندنا ولايا، منرضاش بقلة الأدب.

هزت مي رأسها:

- ولا أنا أرضى بقلة الأدب _وتتنهد براحة_ دار الطالبات لو سمحت.

تمت

مستورة «١»

نزلت مستورة من الميكروباص تسير شاردة ، تسمع السائق ينادي عليها ؛ لدفع الاجرة ، ترجع نجلة تعتذر وتدفع الأجرة، وتكمل سيرها ببطء، وآلام رأسها وجسدها تزيد شعورها بالغم والحزن، تشعر بالخواء وكأن جسدها هيكل فارغ تصفر الريح داخله.

عقلها يدور في حلقه مفرّغة من الألم إلى الحزن والذي يقذفها بدوره لليأس، ليزيد آلامها ثانية.

تتعثر رجل مستورة في حجر صغير، فتلتوى رجلها، وتكاد تنكفئ على

وجهها، تستند على سيارة مركونة على جانب الطريق تمنعها من السقوط.

تحمد الله وتلتفت حولها لتجد نفسها قد قاربت باب العمل تُكمل السير وهى تعرج من أثر الالتواء.

تفتح الباب الرئيسي للعمل وتدخل وتسمي الله وتقرأ آيات قرآنية، وتفتح أبواب المكاتب والشبابيك وتبدأ في النظافة اليومية من كنس ومسح وتلميع المكاتب وتنهي عملها كما تنهيه كل يوم منذ عشرين عامًا لكنها اليوم بطيئة عن أي يوم آخر متألمة متعرقة، تتحرك كالإنسان الألي، تعمل بلا تفكير فعقلها كالأسلاك المتشابكة لا تعرف بدايتها أو إلى أين ستصل؟

يبدأ الموظفون في الوصول لمكاتبهم وتبدأ فترة العمل الثانية لتلبية طلبات الموظفين.

حنان تنادي:

- مستووورة الشاي والبسكويت.

تتبعها منال:

- وقهوتى يا مستورة.

ونتابع الأصوات طالبة مشروب الصباح ، ومستورة تنفّذ بلا رد مختلفة عن كل يوم ، فرغم كثرة مشاكلها إلا أنها كانت تُمازحهم وهى تقدّم طلباتهم؛ لتخرج من حزنها العادي ، لكن حزن اليوم أقوى من أن تخرج منه.صوت سيد يصل للسماء ويدق بيده المنضدة بعنف ونظرة غضب لأمه وكأنها ارتكبت فاحشة: مش مكسوفة من نفسك، عاوزه تفضحينا، نسيتى إنك جِدة

يكح سيد من أثر الشيشة والسجائر ، ومستورة تنظر للأرض تمسك رأسها بيديها مستندة بكوعيها على ركبتيها صامته ودموع غزيرة تنزل من عينيها.

ويكمل سيد:

– عاوزة تتجوزي يا (نوغّه) نسيتي عندك كام سنة؟

تصرخ مستورة في سيد :

– مية سنة يا سيد وكفاية قلة أدبك دي منسيتش يا سيد، أنتم اللي نسيتم، هَم وشغل وضرب أبوك فيا، فاكر كان بيضربني إزاي بالحزام لغاية ما اتشل، وياريتني ارتحت منه إنما خدمة وشيل وحط ،أأكله وأغيرله زي العيال الصغيرة لوحدي وكان جسمه قدى مرتين، حد كان بيشيله معايا ولا بيتحمل شتيمته وطولة لسانه ، وأكلكم ومصاريف تعليمكم ولبسكم، ولا أدوية أبوك، مش من خدمة البيوت، لغاية ما اتعينت في الحكومة وبرضو مسح وكنس وخدمة.

سيد مُستفزًا من كلام مستورة :

– مالنا ومال السيرة دى أبويا الله يرحمه خلاص، خلينا في فضيحتك.

يعلو صوت مستورة :

– اخرس أنا ليا فضيحة ليه؟.. ظبطتني بعمل إيه؟ أنا هتجوز على سنه الله ورسوله ، أنا تعبت من الشغل وعاوزه أتسند على راجل، ولا هفضل أبيع شاي وأخدم طول عمري ، عملت اللي عليا، كبرتكوا وجوزتكوا أنت وأخواتك شقيت وعملت جمعيات وسلف من المرتب ومضيت كمبيالات؛ عشان جهاز أختك وشبكتك وشقتك أنت وأخوك وسديت اللي عليا للآخر.

سيد ينظر لها بوقاحة ويبتسم باستهزاء، ومستورة تُكمل:

– أنا لو بتاعت فضايح كنت فضحتكم من زمان وأنا صغيرة وحلوة وأبوك مشلول وأنا مش لاقية فلوس ، إنما الكل بيحلف بوقفتي ولا أجدعها راجل.

«مستورة، مستورة» صوت حنان ينادي

– مستورة: أيوه يا أبلة، معلش مش سامعاكي.

– حنان: مالك؟!

– مستورة: تعبانة شوية ، يظهر ضغطي عالي.

– حنان: أكيد من ولادك؛ عشان موضوع جوازك، صح؟

تهز مستورة رأسها بالإيجاب.

– حنان: سيبك منهم هو مين منهم بيزورك ولا بيعبرك. الشهر اللي فات ولا واحد منهم جالك. فاكرة لما قلتي لى ، إنتي أدِّيتي رسالتك كاملة ، اتجوزي

ولا تفكري فيهم.

تدخل منال صارخة في مستورة، وقد سمعت ما قالته حنان:

– جواز إيه يا مستورة، أنت هتخيبي في الآخر ولا إيه؟! عيب يا ولية ولادك رجالة.

يعلو صوت حنان ضيقًا من تبكيت منال لمستورة:

– يعني إيه عيب؟! مين قال إن الجواز عيب ، عندكم دين لوحدكم! إذا كان ربنا سبحانه وتعالى محلله ، هاتي لي آيه بتقول عيب لما واحدة تتجوز عشان ولادها رجالة وإلا كانت السيدة خديجة ما اتجوزتش.

تأتي سامية من المكتب المجاور على صوت حنان فتجد مستورة مطأطأة الرأس تبكي:

– في إيه؟

منال وهي تنثني يمنة ويسرة وتتحدث بطريقة رقيعة:

– مستورة يا ستي عاوزة تتجوز.

تجري مستورة من الحجرة باكية ، وتنفجر حنان فيهما :

– أنتم ما عندكوش دم، حرام عليكم ، شفتي منها إيه عشان تتكلمي بطريقة الرقاصات دي.

منال وهي تُمصمص شفتيها :

– يا سلام واحده في سنها تتجوز بتاع إيه (وتحرك ح حاجبيها لاعلى واسفل وهي تنظر لحنان وتبتسم) عاوزه إيه بالظبط؟

ترد حنان باحتقار لمنال :

- عاوزه اللي تعوزه هى حرة.

(وتشيح لها بيدها)

- عاوزه زي اللي عندك، ولا إنتي مش متجوزة؟

- ترد منال بارتباك: يعني إيه؟

حنان مقلدة منال في طريقتها:

- يعني لو اللي هي عايزاه عيب عشان ولادها رجالة، يبقى الأصول تطلقي من جوزك لإنك من سنها وابنك راجل ، اللي تتكلم تشوف نفسها الأول وبعدين تتكلم.

- سامية : بالراحة يا حنان ، وبلاش طريقتك دي يا منال ، لكن بصراحة هي اتأخرت في موضوع الجواز ، كدا هتضيع كل اللي عملته وتهد الدنيا.

تقف حنان من العصبية:

- اتأخرت في إيه، الجواز ربنا محددش له سن. تاني؟ هتعملوا شرع غير شرع ربنا ، ولو كانت اتجوزت زمان كنتم هتقولوا جابت لولادها جوز أم ، والدنيا إيه اللي هيهدّها؟

تبتسم سامية للتهدئة من حدة حنان:

- منظر ولادها الرجاله قدام الناس يكسف.

تزداد عصبية حنان بدلًا من أن تهدأ :

– تالت مرة كلام لا في شرع ولا دين، وولادها لو ما قدروش تعبها ومرارها السنين اللي فاتت يغوروا في داهية.

وتخبط حنان على المكتب لتذكُرها شيئا:

– أو يتفضلوا يقعدوا معاها يسلوها ويشوفوا طلباتها مادام هم رجالة.

– سامية: والله هي مرتاحة بلا رجالة بلا نيلة، إحنا طهقانين من جوازنا.

– حنان: قلت لكم تاهت ولقيناها. اتطلقي ما دام الرجالة نيله وارتاحي. وسيبي مستورة في النيله لوحدها.

تشوح سامية لحنان بيدها لإنهاء الكلام وتنادي:

– مستورة عاوزة ورق.

تعود مستورة لبيتها تجر قدميها، بعدما اشترت طلب جميلة ابنتها بامية للتخزين ، وكلام سيد والموظفات يرن برأسها.

– سيد: واحده غيرك تحترم نفسها وتحترمنا.

– مستورة: أنا محترمة غصب عنك وعن أي حد.

– سيد: واضح الاحترام وإنتي لابسه ملون.

– مستورة: أبوك مات من سنين مش كفاية سواد ، أنا من وأنا حامل في أختك ما لبستش هدوم جديدة كله شحاتة من أختي والموظفات، وكلها هدوم سودا حتى قبل ما أبوك يموت وكإن السواد مكتوب عليا.

– سيد: الأرملة المحترمة ما تخلعش الأسود.

– مستورة: هدومي ملونة أه، لكن غامقة وطويلة لا حمرا ولا قصيرة.

محمد محاولًا التودد لها:

– يا أمه الله يكرمك اطلعي حجّي. قدمي في حج القرعة، أيوه الناس بتعمل كدا في سنك ، يا أمه هنبقى لبانة في بوق الناس .

وجه سيد أحمر يكاد الدم ينفجر منه:

– يا أمه أهل مراتي هيذلوني، انت عارفه حماتي وطولة لسانها، ومش هعرف أرد.

– مستورة: وتسيب حماتك تتكلم على أمك وتسكت؟

– سيد: ما أنا وشي في الأرض منك هرد أقول إيه؟

تدق أم علي الجرس فتوقظ مستورة من أفكارها وتسرع بفتح الباب ، وتشهق أم علي لرؤية مستورة أختها شاحبة هزيلة.

تحكي مستورة كل ما حدث من أولادها والموظفات.

– أم علي: إيه قلة الربايا دي ، سيد دا قليل الأدب والموظفات ظلمة. دا المثل بيقول: «إيش عملت الحرة ؟ قالوا: اتجوزت واتطلقت» دا الطلاق مش حرام هيبقى الجواز حرام!

– مستورة: خلاص يا أختي هقول لجلال إن ولادي رفضوا.

– أم علي: لا يا أختي استنى شوية، سيد أنا هاكلمه ، وسيبك من الناس هو حد فيهم عاش غلبك ، دا جوز أمك الله يسامحه جوزك وأنت بنت ستاشر لواحد صاحبه عاوز يخلف بعد ما قطع الأمل في الخلفة من مراته الأولى، ولا حد انضرب مكانك، ولا مين شقي مكانك كل واحد يخليه في حاله.

يرن جرس التليفون ، تسرع مستورة بالرد والسكين بيدها.

– جميلة: إزيك يا أمه عاملة إيه؟

– مستورة: الحمد لله وإزيك إنتي وحبيب ستو، الإسهال وقف ولا لسه؟

– جميلة: الحمد لله أحسن دلوقتي، خلصتي البامية يا أمه؟ علي عاوز ياكل منها بكرة وعاوزه بصل وطماطم.

– مستورة : البامية بقمع فيها، البصل والطماطم بكرة مش قادرة أروح السوق تاني ، ما قلتيش ليه كنت جبتهم مع البامية.

– جميلة: يوه يا أمه نسيت والواد تعبان وعلي مابيحبيش حاجة. وبعدين إنتي وراكي إيه؟!

– مستورة: حاضر يا جميلة.

– جميلة: مع السلامة.

وتُغلق جميلة التليفون قبل أن ترد أمها.وتغلق مستورة التليفون وقد تجمَّعت الدموع في عينيها مُحدِّثة نفسها:

– أنا الغلطانة يا ولادي، بحنيتي عليكم عطيتكم مفكرتش آخد ، علمتكم تاخدوا ولا تدوش

تشرد مستورة متذكرة أولادها وهم صغار. أبوهم بخيل عنيف، يكبرها بأكثر من عشرين عامًا يصيبه الشلل من شدة عصبيته ، لا تأكل إلا ما يتبقى من أبنائها ، تنام على الأرض، فالسرير الوحيد لديهم ينام عليه الولدان والأب على كنبه وجميلة على الكنبه الثانية.

لم تنم على سرير إلا من سنتين ، وأخيرًا اشترت ملابس رخيصة لكن

جديدة وشنطة مثل شنط الموظفات بل وحذاء وإشارب، وفرِحت وكأنها ملكت الدنيا حين اشترت دولاباً وضعت به ملابسها الجديدة.

تحمل مستورة طلبات جميلة وتطلع السلم بصعوبة وتدق الجرس وتسمع نداء علي؛ لتفتح جميلة الباب:

- أهلًا يا أمه هاتي الشنط كتر خيرك.

تنظر مستورة لعلي وهو جالس يدخن الشيشة ولا ينظر لها.

- مستورة: إيه يا علي مش شايفني.

يرد علي بإهمال مستمر في عدم النظر لها:

- لأ شايفك يا خالتي.
- مستورة: ولما أنت عارف إني خالتك ما تقوم تسلم.
- علي باستهزاء وصوت عالٍ: أقوم لك يا خالتي يا مفرجة الخلق علينا!

تحاول جميلة تهدئة علي؛ خوفًا منه وشفقة على أمها فيدفعها بعيدا، ويهب واقفًا ويصرخ في مستورة:

- عليا الطلاق لو الجوازة دي تمّت، لأبعت لك بنتك متلزمنيش.
- مستوره: لم نفسك ياعلى انا ماعملتش حاجه غلط الجواز مش حرام

ثم يوجه كلامه لجميلة :

- افرحي يا أختي وزغرطي لأمك.

تنزل مستورة مسرعة تتعثر في ذيل عباءتها على السلم، تتكفئ على وجهها، فتصاب بكدمات ويسرع المارة بمساعدتها على القيام ، وتسير مسرعة بدون أن تنفض التراب عن ملابسها .تحاول النوم فلا تستطيع ، تتقلب في سريرها. والصداع من أثر الوقوع وتورم في عينيها من أثر البكاء ، تتناول حبوب لتسكن الألم ، تفتح التليفزيون تقلب في القنوات لا تتحمل صوته ، تغلق التليفزيون وتعاود محاولة النوم وقراءة القرآن ولا يأتي النوم.

تسمع فجأه صوت في الشرفة فترهف السمع، فلا تسمعه ثانية، فتسحب الغطاء وما إن تهدأ أنفاسها حتى تسمع الصوت مرة ثانية تقوم ببطء وتسحب يد الهون التي تضعها أسفل سريرها من وقت أن تزوج ابنها الأصغر ،تقف خلف باب الشرفة بهدوء. تكتم أنفاسها وتنظر من فتحات الشيش فتجد قطة تلعب في كراكيب تضعها في الشرفة، فتلتقط أنفاسها وتمسح العرق المتصبب منها وتعود للسرير وتجلس؛ حتى تهدأ رعشة جسمها وينتظم نفسها ثم تسحب الغطاء ثانية، تلف نفسها فيه متكومة في ركن السرير وما زالت دقات قلبها غير منتظمة.

وتظل مستيقظة حتى الصباح وقد جافاها النوم، فتنهض متكاسلة.

تنزل مستورة من الميكروباص، وتمشي خطوتين وينادى السائق فتعود لتدفع الأجرة بلا اعتذار وحتى لم تنظر للسائق الذى يصرخ فيها:

أنت شاربه إيه على الصبح؟!

تفتح المكاتب وتُنهى أعمال التنظيف الصباحية بصعوبة من آلامها ويبدأ الموظفون في الوصول تباعًا، وتقدم لكل منهم طلبه وتدخل لتقدّم لآخر موظف طلبه ، يمد الموظف يده ويحاول الإمساك بيدها فتنهره وتخلّص يدها منه

– احترم نفسك يا أستاذ.

– الموظف: وأنا عملتلك إيه هتتبلي عليا. أنا محترم غصب عنك ، مش عاوزة تتجوزني ما إحنا أهو ولا هو حلو وإحنا لأ؟!

تخرج مستورة مسرعة من المكتب. تذهب لحنان باكية شاكية مما حدث.

– حنان: حسبي الله ونعم الوكيل، أنا هقوم أهدله.

تمسك مستورة بحنان:

– لا الله يخليكى يا أبله مش عاوزه فضايح، دا بيقول إنى بتبلى عليه لأن نفسي في الجواز.

– منال: أهو دا اللي كنت بقول عليه ، كنتي محترمة نفسك والناس محترماك، ولسه ياما هتشوفي، ولا حد هيفهم إنك عاوزة ونس وسند ولا الكلام اللي بتقوليه دا.(وتكمل منال وهي تلوى شفتيها) والله أنا خايفة يكون طمعان في

شقتك.

– مستورة: شقة إيه يا أبله اللي ف الإسكان الشعبي. أوضتين وصالة، دا أنا مني للشارع دور أرضى والشارع قرب يبقى علو البلكونة ، وبعدين هو أسطى كسيب عنده ورشة.

– منال: طب عاوز يتجوزك ليه؟

مستورة تخفض رأسها للأرض وتسكت.ترد حنان بصوت ملؤه الملل والزهق:

– زى ما أي راجل عاوز يتجوز أي واحده ست ولا ناسيين. إنما ست زي وزيك.

– مستورة: خلاص يا أبله هم عندهم حق أنا أتبهدلت ، أنا هرفض ، علي جوز جميلة هيطلقها لو أنا أتجوزت.

– حنان: وهو ماله؟ يعنى اسم الله هو عدل قوي ، دا مش راجل أساسًا ، يطلقها ويغور وهيرجع تاني سيبك منه.

– منال: يعني تخرب على بنتها وتتهنى هي؟!

– حنان: بنتها في خراب أساسًا ، مستورة هي اللي بتعمل كل حاجة بتجيب له الخضار والتموين وتاخد الولد للدكتور، هو لزمته إيه وكمان يتحكم فيها ، علي دا بقى هو اللي طمعان في الشقة.

****

تعود مستورة لبيتها ، تفتح الباب لتفاجأ بأولادها، سيد ومحمد وجميلة وزوجها، تسألهم باندهاش :

– فيه إيه؟ مالكم؟!

سيد يقف على ساق واحده منحنيًا، يستند بكوعه على ركبته واضعًا قدمه على طرف الكنبة يفرك كفيه في بعضهما بعصبية :

– اهلا بالعروسه، فيه نفس الحكايه جوازك يا امه.

ينكزه محمد ليهدئ من انفعاله :

– اسمعى يا أمه ميصحش إنك تتجوزي وإحنا كبار كدا ....يا أمه إنتي مش صغيرة.

– مستورة: كان المفروض أتجوز وأجيب لكم جوز أم وأنتم صغيرين؟

– مستورة تنظر لجميلة : ابنك فين؟

يرد علي قبل جميلة:

– عند أمي ولا عايزاه يحضر الفرح.

– مستورة: آه، أنتم متفقين تتجمعوا ، ومن غير الولد مش عاوزين دوشه....، فهمت ، كمل يا علي، آه عاوزه حفيدي يحضر الفرح.

يحمر وجه علي وينظر لسيد:

– لاااا أمك بايعة كله ، وشارية العريس.الحق عليا عاوز أحافظ على شكلك قصاد الناس .... ألحق أمك ياسيد دا أنتم هتتبهدلوا ، _وبخبث_ دا أنا اللي ابن أختها مكسوف ووشي في التراب ، يبقوا أنتم هتعملوا إيه وأنتم المفروض رجالة بشنبات؟!

يقفز سيد ليمسك بخناق علي، ويسرع محمد باحتضان سيد من ظهره محيطًا إياه بذراعيه وجميلة تحاول أن تقف حائل بينهما وتصرخ مستورة في علي :

– رجالة غصب عنك ، ومراعيين بيوتهم أكتر منك.

– محمد : مبسوط كدا يا على ولعت الدنيا ، أنت إيه اللي دخلك؟

– على : الحق عليا يا سي محمد، أنت أول واحد مضرور؛ أنت ناسي إن مراتك على وش ولادة، وحماتك ميتة. مين بقى هيراعي مراتك وابنك؟ ولا هتسيب مراتك لأمك تنفسها في بيت راجل غريب.

– سيد: شفتي يا أمه عملتي فينا إيه ، ابن أختك بيتكلم كدا الغريب هيقول إيه؟

– مستورة: ابن أختي عاوز يولع الدنيا بيني وبينكم ، خايف جوازي يمنعني من خدمته هو ومراته، وعاوز يورث الشقة اللي حيلتي.

– علي: أنا طمعان؟ أنا خايف على لحمي ودمي ، إنتى خالتي مهما كان،الحق بقى عريسك هو اللي طمعان في مرتبك ومكافاه المعاش ، سيد ومحمد أولى بفلوسك.

– جميلة: يا علي هو مرتب أمي كام عشان العريس يطمع فيه؟

– علي يصرخ في جميلة: إنتي تخرسى خالص متتكلميش والرجالة بتتكلم.

– سيد بصوت عالٍ: مرتب ولا شقة إيه اللي بتتكلموا عليهم ، الناس واكله وشي ، دي حماتي وولادها عامليني تسليتهم .

مستورة صامتة تمامًا تجلس على طرف الكنبة عاقدة أصابعها، تنظر للأرض وكأن الحوار لا يخصها، تلاحظ جميلة أمها فتبكي ألما خوفًا عليها:

– وأنت تسكت لحماتك وهي بتتريق على أمك ليه يا سيد؟

يصرخ سيد فيها :

– اسكتي إنتي خالص ، إنتي بتشجعيها.

– جميلة: لا والله أبدًا ، لكن ما يصحش كدا.

– سيد: وما يصحش ليه؟ حماتي ست محترمة اتكسرت على عيالها بعد ما جوزها مات ، وما قالتش عاوزه أتجوز زي عروستنا، لكن إحنا السبب يا أمه،قلتي محو أمية ،سبناكي تاخدي الابتدائية وقلنا بتتسلى ، قدمت أولى إعدادي وسكتنا ، افتكرتي نفسك شابه وقلتي أكمل وافرح بنفسي.

– علي: وهدوم ملونة وهيصة ، خلاص زمن العباية السودا راح ، كانت بتلبس وتتشيك علشان العرسان تيجي لها ، والعروسة بقى اشترت قمصان النوم ولا لسه ؟

يقفز سيد ثانية بسرعة فلا يلحقه محمد ، يمسكه سيد من ياقة قميصه ويلكمه في أنفه وعينه بعنف ويسيل الدم من أنفه ، ويحاول هو الآخر الأمساك بملابس سيد ليلكمه فتطيش اللكمة لما أبعد سيد وجهه من مسار قبضته ، حتى يخلصهم محمد من بعضهما.

– علي : الحق عليا ، بكرة يجي هنا مكان أبوك.

– جميلة: لا مش هيجي مكان أبويا ، هو عنده شقة.

يقوم علي ليضرب جميلة، ويمنعه محمد :

– إيه يا علي هتضربها قدامنا كمان!

– محمد لجميلة: مين اللي قالك إن عنده شقة؟ ولا العريس جه وخطبها منك!

– جميلة ترتعد خوفًا: خالتي والله خالتي وتنظر لعلي أمك هي اللي قالت لي.

ينظر محمد بغيظ لعلي:

– أمك هي كمان بتشجع اهي ، بتتكلم ليه بقى؟!

يرتبك علي وينظر لجميلة نظرة من نار:

– ما أمك عيطت لها «ويقلد مستورة في طريقة كلامها» أنا بخاف باليل محتاجة سند ، صعبت على أمي.

– محمد : يا أمه استهدي بالله واسمعي كلامنا ، امبارح واد ما يسواش بيقولي هتجيب إيه هدية للعروسة؟ وضربنا بعض وكانت عركة.

وجميلة ما زالت على جلستها كما هى لا تنظر لأحد ، ودموع غزيرة تنزل من عينى جميلة :

– كفاية بقى حرام عليكم.

– علي: طبعًا ، تلاقيكي إنتي كمان نفسك أموت وتتجوزي، ماهو اقلب القدرة على فمها.....

– يقاطعه سيد: اتلم يا علي؛ المرة دي هكسر لك سنانك. ويلتفت لمستورة: الخلاصة يا أمه الأرمله تلبس أسود ، ترجعي تاني للأسود ، ومفيش تعليم ، مش

بعد ما شاب ودوه الكُتَّاب ، وعريس الهنا بتاعك دا تنسيه وتنسي الموضوع كله ، ولو استغفلتينا _وهو يخبط بعصبية على جانب رقبته_ وأدتينا على قفانا وتمتي الموضوع دا، هاقتلهولك يا أمه . فاهمة _ وهو يشير علامة الذبح بأصبعه على رقبته_ هاقتله ، - وبصوت عالٍ وعيناه سينفجر الدم منها_ وافرحي بيا وأنا متعلق في حبل المشنقة.

تلف الدنيا وتُظلم وتبتعد الأصوات حتى تتلاشى، وتقع مستورة على الأرض فاقدة للوعي، مصطدمة برأسها في طرف المنضدة وينزل الدم من رأسها بغزارة.

تصرخ جميلة، ويُسرع محمد وسيد بحملها، والتوجه للمستشفى وينزل علي بهدوء خلفهم ذاهبًا في اتجاه آخر .

تفيق مستورة على آلام شديدة ، تتحسس رأسها، فتجده مربوطًا بالشاش وجبيرة على ذراعها:

- آاااه.

جميلة جالسة تمسك بيد أمها تبكي، ومحمد واقف خلف السرير الذى تنام عليه مستورة، بينما سيد واقف خارج الحجرة يدخن بشراهة مستندا على الحائط تارة، ويتمشى جيئة وذهابًا تارة أُخرى.

- جميلة: ألف سلامة يا أمه.

ينادي محمد للطبيب ويخبره بإفاقة أمه، فيحضر؛ ليطمئن عليها.

- الطبيب : حمد الله على السلامة يا حاجة ، مش تاخدي بالك من السلالم ، عاوزين غِذا كويس وراحة تامة ، وطبعًا مفيش تعرض للشمس قبل أسبوع حتى

فك الغرز. وذراعك هنعمل له آشعة بعد أسبوعين ونقرر نفك الجبيرة ولا لا.

وينظر الطبيب لمحمد :

– تقدروا تاخدوها وتروحوا؛ ترتاح في البيت. ويكتب لهم روشته ويأمرهم بصرفها والحضور بعد أسبوع مُنبها بأنها ستشعر بآلام لفترة ودوخة وينصرف ، يحملها ولداها ويرجعان إلى بيتها ويضعاها بسريرها وغطتها جميلة بالغطاء وهى تردد الأدعية.

ويجلسوا جميعًا صامتين، ينظرون لبعضهم طويلًا بتململ.

ويتكلم سيد أخيرًا:

– معلش يا أمه إنتي عارفة ما أقدرش أقعد جنبك ، الميكروباص عليه أقساط مايرضيكيش أتحبس.

ويقف ويظبط قميصه ويستعد للانصراف فتنظر له مستورة ولا ترد ، بينما تحضّر لها جميلة كوب لبن وماء وتضعهم بجوار السرير مع الأدوية التي صرفها لها الصيدلي

– معلش يا أمه الواد مع علي من بدري، وزمانه لطّش فيه لما شبع. إنتي عارفة الواد بيخاف منه – وتنادى – استنى يا سيد خدني معاك.

وتنظر مستورة لمحمد منتظرة ما سيقوله وهو يتململ شاعرًا بالحرج.

– محمد: يا أمه.... أنا ... مراتي في الآخر، خلاص على وش ولادة؛ مش هقدر أسيبها تبات لوحدها إنتي عارفة إنها يتيمة.

ثم يتلفت حوله ويكمل:

- طب مين هيبات معاكى؟

ترد مستورة بصوت ضعيف:

امشى يا محمد ... امشى أنا كويسة.

يسرع محمد فيلحق بسيد وجميلة.

تحاول مستورة القيام لابتلاع المسكن فلم تستطع، وتظل تحاول حتى تعتدل في جلستها وتشرب المسكن ، ثم تحاول العوده لوضعها الأول؛ لتنام على السرير ، فتصرخ من الألم وتنزل الدموع من عينيها غزيرة متتالية.

وفي الصباح تنزل مستورة بصحبة آلامها ورباط الشاش حول رأسها مرتدية حامل الذراع الذي لبسته بصعوبة ولون أسود حول عينيها مع لون بشرة باهت ، وركبوا جميعًا الميكروباص ونزلوا معًا، وينادي السائق عليهم لدفع الأجرة « ولا يرد أحد»

تمت مستورة الجزء الأول

مستورة ٢

تنظف مستورة المكتب متألمة تحرك ذراعها بصعوبة ، تدخل حنان مبتسمة لرؤية مستورة وقد بدأت تستعيد بعض عافيتها.

– صباح الخير يا مستورة عامله إيه.

– مستورة:الحمد لله يا أبلة، يسعد صباحك.

– حنان : فكيتى الغرز؟

– مستورة: فكيتها أول أمبارح لكن الصداع لسه شديد ، ووجع دراعي هيموتني ، مش عارفة أشتغل منه.

– حنان: قررتي إيه مع ولادك وجلال؟

تحاول مستورة الابتسام كعادتها في الكلام مع حنان لكنها تفشل حتى في الابتسام بسخرية، فتدمع عيناها :

– ولا حد منهم عبرني من يوم ما وقعت، محمد بس اتصل بالتليفون مرة على السريع وخلاص ، أم علي بس هى اللي بتيجي، كتر خيرها؛ تطبخلي وتعملي شغل البيت.

وتخفض رأسها وكأنها نجلة لازدياد نزول دموعها مع سيرة جلال.

– وجلال خلاص أخويا بلغه بالرفض.

– ليه يا مستورة بلغتيه؟ استعجلتي ليه؟ ومالك موطية راسك وإنتي بتتكلمي عنه مكسوفه ليه؟! ليه سمحتي لكلامهم يدخل عقلك، ويحسسك إن موقفك يكسف. ارفعى راسك وإنتي بتتكلمي.

مستورة «وقد بدا عليها عدم الاستيعاب»:

– يعنى إيه كلامهم يدخل عقلي، ما هو لازم يدخل. اسمح ولا ماسمحش إزاي.

– يعني إنتي مش ماشية في الحرام عشان توطي راسك.

– مستورة «وقد أحست بمعنى كلام حنان وإن لم تفهمه كله»: آه فعلًا أنا مكسوفة من الموضوع، كأني بعمل حاجة حرام.

– حنان وهي تربت على كتف مستورة : اسمعيني، اتجوزي ولادك هيزعلوا شويه ويسكتوا.

– علي هيطلق جميلة يا أبلة، دا حالف بالطلاق.

– يطلق وهيرجع زي الج..... هيلاقي فين حد عبيط وبيسمع كلامه زي بنتك ، ولو عاوزه رأيي اكتبي الشقه اللي سي علي طمعان فيها باسم ولادك

التلاتة، هيتكتم ويسكت ، ويبقى إثبات إن جلال مش طمعان ، ولا جلال يتضايق.

– لا يا أبلة هو لما عرف ، وافق وقال هي حرة.

– فكري كويس، هاتى الشاي بقى.

****

مستورة تنظر لنفسها في المرآه غير مصدقة عينيها:

– دي أنا؟

أم علي تزغرد من الفرحة.

– مستورة: بس يا أم علي، اسكتي الناس تقول إيه؟ عيب.

– أم علي : بس بس ما عيب إلا العيب.

وتتبعها أم علي بزغرودة أخرى :

– الناس لازم تعرف إن كتابك اتكتب وأخوكي وكيلك واللي يزعل يطق، وأولهم علي ابني.

– مستورة: أنا خايفة من سيد ينفذ كلامه ويأذي جلال؛ إنتي عارفاه عصبي زي أبوه، وابنك هيطلق جميلة.

– أم علي: يطلقها وأنا أخدها عندي لغاية ما يبوس رجلي أرجعهاله.

– مستورة بحزن : ربنا يستر.

– أم علي: إيه بقى دا يوم تحزني فيه والله أبدًا، وتزغرد ثالثة.

– تبتسم مستورة : شوفتي يا أم علي، أول مرة ألبس حاجة فاتحة ملونة.لا والطقم دا غالي، جلال اشتراه ليا مع الدبلة والخاتم. أول مرة من يوم ما أتجوزت

أبو سيد.

– أم علي: والله عسل، حطي شوية أحمر كدا لونك مخطوف وباين عليكي خسيتي كتير.

– يبدو على مستورة الدهشة من كلام أم علي: لاااا يا أختى ، أنا كدا وهاموت من الكسوف ، أحط أحمر كمان ، كحلة في عيني وخلاص.

– تحضنها أم علي وتقبلها: حطي حطي بلا هم كفاياكي ، افرحي بقى.

وتمسك بعلبة المكياج التي اشتراها جلال لمستورة مع الهدايا وتضع لها أحمر خدود، ومستورة تحاول الابتعاد لكي لا تكثر أم علي منه.

يدخل الأسطى عبده أخو مستورة :

– مبروك يا أختي ألف مبروك، خلاص كتبنا الكتاب ــ ويرفع صوته ــ: تعالى يا أسطى جلال خلاص أنت مش غريب.

– يدخل جلال الحجرة فرحًا، بينما مستورة خجلة ترتعش خافضة رأسها.

ويخرجا للشهود وبعض الرجال من الجيران وتقدم أم علي لهم الحلويات ويسلمون على العروسين وينصرف الجميع.

يجلس جلال فرحًا ينظر لمستورة بملامحها الرقيقة الهادئة والتي لا تخلو من الجمال وسمرة بشرتها الخفيفة التي تضيف للناظر لها إحساسًا أكثر بالطيبة والارتياح لها : منورة يا ست مستورة، نورتي بيتك.

مستورة غارقة في خجلها:

- الله ينور عليك.

جلال مبتسمًا بفرح وأمل: عاوزك تكوني فرحانة ولا تعولي أي هم، سيد هنروح له أنا والأسطى عبده ونراضيه وهيبقى زى الفل إن شاء الله.

- لا.... يا رب يكرمك ما تروح؛ سيد شراني، طبعه صعب. مش هيكبر لحد.

- مالك خفي كدا أنا عاوز الأمور تبقي تمام.

- إن شاء الله تبقى تمام، بس ما تروح له.

- ماشي يا ست الكل ، أكلينا لقمة بقى أنا ما أكلتش من الصبح.

- ليه كدا؟

- من الفرحة حلفت ما هاكل النهاردا إلا من إيدك.

تبتسم مستورة ويحمر وجهها بوضوح رغم سمرتها وتخفض عينيها، وتقوم مسرعة من أمام جلال، وبصوت خفيض تملؤه حماسة الأمل :

- حالًا هغيّر وأحضّر الأكل، هو جاهز؛ أختي أم علي عاملة لك أحلى أكل.

تدخل مستورة حجرة النوم تنظر للستائر والمفرش والدولاب ونقوشه غير مصدقه أنها تمتلكها، تطيل النظر للتسريحة وتنظر لنفسها في المرآة. أول مرة ترى شكلها كله في مرآة؛ في بيتها دائمًا كانت مرآتها صغيرة، معلّقة على الحائط فوق حوض الحمام ،بالكاد تُظهر وجهها ورقبتها، وحتى الدولاب الذى اشترته بعد زواج جميلة،انكسرت مرايته والعمال يحملونه على السلالم،

وطلبت من محمد استبدالها ووعدها ولم ينفّذ بحجة الانشغال.

تفتح مستورة دولابها وتنظر لما يحويه الدولاب من قمصان نوم وعباءات منزلية وملابس للخروج، اشتراها لها جلال فتدمع عيناها ، لطالما حلمت بقطعة ملابس واحدة منها ، كانت تراها على جاراتها في الأعياد ،تخرج شماعة معلقًا عليها قميص وروب، تتحسسهم شاعرة بنعومتهم الغريبة عليها؛ فأبو سيد كان بخيلًا وزوج أمها أبخل منه لم يشتريا لها شوار كأي عروس من أقرانها.

تسمع صوت جلال يناديها، فتسرع بتغيير ملابسها مرتدية القميص والروب، متمنية إطالة النظر في المرآة، تريد أن تحفظ إطلالتها الجديدة. تحضر العشاء وتجلس لتأكل مع جلال الذى يأكل طعامه ناظرًا لها بحب :

– بقول مش كفاية شغل وتعب بقى أعملى معاش ولا استقالة؛ إنتي ملزومة مني ومش عاوزين حاجة من شغلك.

– معلش سامحني ، أنت طول اليوم في الورشة ، وأنا هقعد فاضية ، وأنا شغلي مش مُتعب _محاولة أن تداري كذبها_ أنا كبرت ومعايا واحده تانية هي اللي بتنضف، أنا أجيب ورق من مكتب أوصله مكتب تاني. والكل هناك كويس معايا _ وتخفض رأسها_ وأنت مش غريب جميلة أوقات بتحتاج فلوس أنت عارف جوزها ، وكمان بساعد سيد في أقساط الميكروباص ، آه..... ومحمد مراته قربت تولد الأمر ميسلمش إنه يحتاج فلوس ، مفيهاش حاجة وصدقني مفيش حاجة ههملها من طلباتك، ولا شغل البيت؛ اليوم طويل.

يهز جلال رأسه موافقًا على مضض ويكمل طعامه.يجلس جلال أمام مستورة مبتهجًا: صباح الورد يا عروسة.مستورة والخجل يقطر منها تشعر وكأنها عروس لأول مرة، تتناسى ليلتها الأولى مع أبو سيد ، تتلفت حولها كلما أمسكت بشيء جديد من جهازها؛ لتتأكد أنها لا تحلم وأن ليلة أمس لم تكن حلمًا أفاقت منه.

- صباح الخير ، هتفطر؟

جلال مبتسمًا وعيناه تتابعها في حركاتها:

- نفطر يا ست الكل.

تدخل مستورة لتجهز الإفطار وقبل أن تضعه على الصينية تسمع خبطًا قويًا على الباب، ينتفض له قلب مستورة.يفتح جلال الباب بسرعة ومستورة تلبس إسدالها بسرعة؛ لإحساسها بأن شيئًا ما قد حدث، ويجد جلال طفلًا من الجيران :

- إيه يا بيبو حد يخبط كدا؟

- بيبو: إلحق ياعم جلال واحده في الشارع تحت البيت مغمى عليها ومعاها عيل صغير وأمي بتقول إنها قريبتكم.

ينزل جلال مسرعًا وخلفه مستورة ليجدا جميلة والجيران ترشها بالماء، لإفاقتها وابنها يبكي بجانبها ، تحتار مستورة أتحمل الطفل أم تساعد ابنتها؟! فيشير لها جلال لحمل الطفل ويساعد هو جميلة على النهوض، وتصعد السلم يسندها بذراع والآخر يحمل به حقيبة ملابسها.

تبكي جميلة في حضن أمها والطفل يبكي لبكاء أمه ، وأم علي تحاول تهدئته ، يحضر لهم جلال بعض العصائر ،، تأخذ مستورة علبة محاولة أن تسقيها لجميلة، بينما ترفض جميلة الشرب، مستمرة في البكاء:

- طلقني يا أمه عملتي اللي في دماغك ، أنت اتجوزتي وأنا أتطلقت.

يتضايق جلال مما قالته جميلة بالرغم من عذره لها : استهدي بالله يا جميلة بكرة يرجع وربنا يهديه وإنتي في بيت أبوكي معززة مكرمة ولا إيه يا أم سيد.

وقبل أن تتكلم مستورة ترد أم علي: معلش يا أسطى جلال، دايمًا عامر، لكن ابن ابنى وأمه عندى لغاية ما أبوه يقول توبت عايز أشوف ابنى ، أنا اللي هعرفه إن الله حق، قليل الأصل.

تبكي مستورة:

- يا ريتني ما أتجوزت كنت فاكراه بيهدد بس.

يضيق جلال بما يحدث ومما تقوله مستورة، فيخرج من البيت قاصدًا المقهى.

****

يدخل جلال ورشته ليجد سيد جالسًا واضعًا ساقًا على ساق، وينظر له نظرة شر وتحد ، يتغاضى جلال عن نظرة سيد وجلسته ويحاول الترحيب والتودد إليه بالًا بتسام والترحيب.

- أهلا يا أسطى أهلًا وسهلًا نورت الورشة.

يخبط سيد بشدة على المنضدة التي تحمل عدةالميكانيكي والشاي أمامه فتقع قطع من العدة على

الأرض وينسكب قليل من الشاي:

- لا أهلًا ولا سهلًا اللي عملتوه مش هيعدي بالساهل ، ما اتخلقش اللي يستغفلني ولينا ميعاد.

ويخرج من الورشة مسرعًا، بدون أن يعطي جلال فرصة للكلام.

****

تفاجأ مستورة بمحمد ينتظرها على باب العمل ، ينظر لها بنظرة شبيهة لنظرة سيد والتي لم ترها من محمد من قبل.

- مبروك يا عروسة اتجوزتي وعملتي اللي في دماغك ، ولا همك بنتك اللي اتطلقت ولا ولادك اللي حطيتي راسهم في الطين.

مستورة وهي مأخوذة بنظرة محمد وطريقة كلامه المختلفة:

- طين؟! ليه هو أنا عايشة في الحرام يا ابني؟ عيب كدا دا مش كلام تقوله لأمك.

- يعني عارفة إن ليكي ولاد كان المفروض تحترميهم.

- تاني يا ابني خلاص أنا اتجوزت راجل طيب، ويعني لو كان أبوك هو اللي عايش واتجوز كنتوا هاتعملوا كدا.

- أبويا راجل ما يتعايش عليه الجواز إنما إنتي .....

- تقاطعه مستورة : يعني هو كان هيتجوز إيه مش واحدة ست زيي. إيه الفرق؟

محمد يرفع سبابته مهددًا:

- ماليش فيه يا أمه ، الكلفته اللي إنتي وأخواتك وجوزك كلفتوها لنا مش حلوة ..... ماشي يا أمه ، أنا ما رضيتش سيد يجيلك وقلت آجي أنا ... ارجعي بيتك وعريس الغفلة اخلصي منه بالتي هي أحسن .... «ويعلو صوته» يا إما ماتبقيش تعيطي ، خلص الكلام.

يمشي محمد يشوط طوب الأرض بحذائه بقوة وغيظ وكأن المشكلة معه، تنادي مستورة عليه، فلا يرد، مشيحًا لها بذراعه دون أن يلتفت لها.

تبكي مستورة :

- خايفة يا أبلة حنان ، سيد ابني ربنا يهديه وليه صحاب أعوذ بالله ، هيعملوا حاجة في جلال ، أنا هتطلق.

- حنان: يعمل إيه بس يا مستورة ، يخاف ما يقدرش.

- مستورة: دا ما يقدر عليه إلا ربك .

****

– مستورة : ألو، أيوه يا أم علي، تعالي يا أختى وهاتي عبده أخويا معاكي، أنا هتطلق.

تشهق أم علي:

– ليه يا أختي بعد الشر إنتي لحقتى ، تطلقي بعد أسبوع جواز، لأ ما تقوليش كدا ، دا أنا لسه مكلمة علي وبهدلته وحلفت ما يشوف ابنه إلا لما يتأدب ، وخلاص قال هيجي يصالحها ويردها .

– مستورة : اسمعيني هاتي عبده وتعالي.

– جلال غاضبًا: ينفع كدا يا أسطى عبده، أختك تقول طلاق بعد أسبوع.

عبده غاضباً:

– والله ولا ينفع ، عيب يا أختي، يقولوا إيه ما عمرتش، وعيالك مسيرهم يسكتوا زي علي.

– مستورة : علي «وتنظر لأختها» لا مؤاخذة يا أختى متزعليش، كان همه الفلوس المساعدة اللي بادّيها لجميلة كل شهر والشقة، ولما عرف إني مش هامنع عنهم سكت.لكن ولادى لا يهمهم فلوس مكافأة المعاش ولا منحة الوفاة، لكن كلام الناس عندهم أهم والناس مش مبطله كلام وتريقة ــوتبكيــ ما هم معذورين؛ اللي حماته نازلة ذل فيه، والتاني أصحابه بيحفلوا عليه، مش هيسكتوا. وتكمل مستورة وما زالت مستمرة في البكاء: يا جلال أنا خايفة عليك.

– جلال : يا ستي أنا مش خايف ، فيه حكومة وفيه قانون، يخافوا ما يقدروش.

– مستورة : ولو قدروا هافرح أنا لو جرى لك حاجة وهم اتحبسوا ، ما إحنا كنا فاكرينهم هيسكتوا لما نتجوز.

– عبده : اهدي كدا يا أختي وأنا هقابل سيد وأتكلم معاه ، بس مش انهاردا، بيقولوا فيه مظاهرات والدنيا هايصة في الشوارع.

– وينظر لأم علي: تعالي يا أختي أما أوصلك، لتيجي فيكي طلقة ولا خرطوش. ويضحكون جميعًا إلا مستورة.

يقترب جلال من مستورة ويمسك يدها:

– على فكرة أنا زعلان، نتطلق ؟هان عليكي تقوليها.

تجفف مستورة عيونها:

– معلش والله خايفة عليك ، وأنا مكسوفة مشاكل من يوم ما اتجوزنا.

– جلال: يا ستي متخافيش ، وأنا راضي «وبنظرة معاتبة» وأنا اللي كنت بجهزلك عزومة بكرة في الجنينة وندخل السيما ونعيش بقى.

– تضحك مستورة: سيما ، بجد عمري ما دخلتها .

– جلال : هتدخليها كل ما ينزل فيلم حلو كدا بيضحك ولا أكشن ، كفاية هم بقى.

٢٧ يناير ٢٠١١

سيد يدخن الشيشة باستمتاع وهو يستمع لخطة حوده الكبير في غرزة في إحدى المناطق المشبوهة

– الله ينور عليك ، صدق اللي سماك حوده الكبير.

حوده «وهو مثال واقعي للخارجين عن القانون في الأفلام القديمة، مثل أثر جرح كبير بطول خده، ونظرات شر وحقد تخرج من عينيه»

- ما أنت كبير الأسطوات يا عمهم ، اتفقنا.

- سيد : خايف بس....

يقاطعه حوده:

- أوعى تخاف وحوده معاك، وهي متسهلة؛ المظاهرات مبهدلة الدنيا على إيدك، والشرطة مش فاضية لحد. (ويميل على سيد) امبارح طلعنا طلعة لوز، فتحنا محلين شطبناهم، ولا حد سأل وكسرنا براحتنا والناس خافت تبص حتى من الشباك.

- سيد : ماشي يا كبير ، أمين ، عاشوا الرجالة. ويترك له مبلغًا من المال : على اتفاقنا ، الباقي بعد المهرجان، استبينا.

****

جلال على سريره في المستشفي وقد لفت أصابعه بلفافات الشاش وعلى وجهه أثر من لفحات النار.

- مستورة : ألف سلامة، والحمد لله إنك بخير.

جلال صامت ينظر لسقف الغرفة ودموع متحجرة في عينيه.

– أم علي: الحمد لله ، إن جت على قد كدا ، دا سقف الورشة وقع.

– عبده : أنا مش فاهم الورشة بعيدة عن ضرب النار والخراطيش إيه اللي ولعها كدا.

جلال لا يزال على صمته وصوت سارينه الإسعاف يرن؛ معلناً عن وصول جرحى جدد وتبعد مستورة عينيها لكي لا ترى المصابين.

يخرج جلال عن صمته أخيرًا

– فين عماد (مساعده بالورشة)؟

– مستورة تنادي عماد ، ويدخل عماد الغرفة.

– جلال: أستاذنك يا أسطى عبده، شوف لي الدكتور عاوز أروّح؛ مش قادر على الصراخ اللي بسمعه كل شوية ، ونروح قبل حظر التجول ، وإنتي يا مستورة لمي هدومي ، وأشار لعماد فمال عماد عليه وهمس جلال في أذنه وهز عماد رأسه علامة الإيجاب وخرج من الغرفة.

يدخل جلال غرفته مستندًا على ذراع عبده ، وينام على السرير متوجعًا، وخلفه مستورة وأم علي.

– الحمد الله على السلامة، نورت بيتك ،خير إن شاء الله وكله يتعوض.

– جلال: يتعوض منين يا مستورة والورشة بقت كوم تراب ، وإيديا خلاص، الدكتور بيقول هتحتاج عمليات كتير ،يجي منين الخير؟!

– أم علي: حرام عليك ما تقولش كدا، ربنا يخلف عليك إن شاء الله.

– جلال: يا ريتني مت وأرتحت أحسن من كدا ، بيتي اتخرب.

- مستورة: بعد الشر عليك.
- عبده: خير إن شاء الله ، ربنا هيعوض ، هنمشي قبل حظر التجول.

وينصرف عبده وأم علي.

- مستورة ، عندك أكل في الثلاجة؟
- الحمد لله مستورة (محاولة إضحاكه لكنه لا يضحك)
- أخواتى هيوصلوا بكرة أنا بعتلهم.
- أهلًا وسهلًا ، يشرفوا ويطمنوا عليك.
- هم مش جايين يطمنوا إحنا هنرجع معاهم الصعيد.
- مش فاهمة ، هتروح هناك لغايه ما تخف ولا إيه؟!
- هنعيش هناك.
- أيوه ، لكن شغلي وأنت.
- أنا ضعت خلاص وإنتي تسيبي الشغل ، ونبعد بقى.
- نبعد عن مين؟
- الحريقة سيد اللي عاملها.

تصاب مستورة بصدمة تسكتها لدقائق :

- ليه مش خرطوش من المظاهرات؟!
- : المظاهرات بعيدة عن الورشة، دة عَملة سيد.

تسكت مستورة وتخفض رأسها:

- طلقني يا جلال كفاياك ، اتأذيت بسببي.
- لا هنرجع بلدنا ونعيش هناك.
- هنعيش مع بعض نعيش هنا.

– نعيش إزاي؟ مش هقدر أشتغل.

– كلها شهرين وإيدك تطيب ، وأنا هصرف ولما تقوم بالسلامة تبقى تعوضني.

– أنا ما اعيشش من عرق حرمه ، قالوا ليك إني عويل.ويكمل جلال: الدكتور بيقول ست شهور ونبدأ العمليات ومش هترجع زي ما كانت، انتهى زمني خلاص.

– اشتغل حاجة تانية ، ممكن تبيع خضار في السوق مع صاحبك الحاج أحمد.

– جلال بعصبية وقد بدأ صبره ينفد من جدال مستورة :أبقى صبي خضاراتي بعد ما كنت أسطى قد الدنيا ،لا أبدًا ما يكون.

– وهنعيش هناك منين ، وشغلي ممكن ماينفعش أتنقل.

– شغلك تنسيه ، ما أقدرش أقول لإخواتي، إنك عاملة نظافة.

تداري مستورة صدمتها من كلام جلال ونجله من عملها، ملتمسة له العذر من ألمه: الشغل مش عيب و.....

– وإيه ؟عندنا في الصعيد عيب الشغل دا ، انسي.

– وهتشتغل إيه؟

– مش هشتغل هنعيش مع إخواتي.

– ما أقدرش أعيش عالة عليهم ، هناك أنا هبقى خدامة ليهم.

– لا، زيك زي حريم الدار.

– هم أجوازهم بيشتغلوا وأنا لا، هبقى .....

يقاطعها جلال بصوت عالٍ :

– دا آخر كلام مش هبقى صبي خضاراتي، مش هفرج الناس عليا ، وإنتي مش هتشتغلي هناك، اخدمي في البيت بدل ما تخدمي الموظفين.

جرحت الكلمة الأخيرة مستورة فسكتت ولم ترد ، وقامت لتغسل ملابسه وتجهّز الطعام للقادمين.

تدخل مستورة المكتب حاملة صينية الشاي وتضعها، وهي ساهمه توزع الطلبات على الموظفات وهي صامتة.

تغمز منال لسامية بعينها مشيرة بإيماءة برأسها لمستورة، وتلاحظها حنان غير فاهمة لما تعنيه ، ويدخل موظف يضحك باستهزاء لمستورة:

– عاملة إيه يا مستورة.

– مستورة بتحدٍ: الحمد لله ، أعملك شاي؟

يرتبك الموظف من إجابة مستورة، وطريقتها الغريبة الجديدة، التي لم يكن يتوقعها من مستورة المخجلة الطيبة فيهز رأسه بالرفض.

تخرج مستورة غير عابئة بغمزات الموظفات، بالإضافة لنظرة تعني أنها تراهم.

– حنان: فية إيه؟ بتتغمزوا ليه؟ مالكم بيها؟

– منال : تنظر لحنان بشماتة وكأن حنان من طُلقت.

– سامية هامسة: مستورة اتطلقت.

– تصرخ حنان: اتطلقت ليه؟

- منال: ما قلنا تحترم نفسها من الأول ، طلعتونا من البلد.

- سامية: هحكيلك.

تبحث حنان عن مستورة حتى تجدها :

- إيه يا مستورة، ليه كدا؟

- مستورة: نصيب يا أبلة حنان.

- حنان : بكرة يرجع بعد ما يتعالج.

- مستورة: ماعدش ينفع ، وقت الجد عايزين بشغلتي ، وفضّل إنه يعيش عالة على أخواته ، وعمره ما هينسى اللي ابني عمله، نصيبي الحمد لله.

- حنان : مش عاوزاكي تتضايقي من الموظفين ومن غمزهم.

تبتسم مستورة بمرارة :

- لاااا يا أبلة كان زمان ، ولا هاممني، عارفة إيه اللي في دماغي وشاغل تفكيري.

- حنان : إيه يا مستورة؟

مستورة وعيناها تنظر أمامها ساهمة بنظرة أمل

- آخد الإعدادية.

الفهرس

بدلة وفانلة ٥

كلهم عنترة العبسي ١٩

لعبة شوشو ٢٩

جبل الجليد ٤٣

شات ٨٥

سور الغباء العظيم ١٢٩

ثورة عبدَة ١٤١

مستورة «١» ١٦٣

مستورة ١٧٣

مستورة.٢ ..... ١٨٣

ترجمة كتاب